

الإدارة العامة للإعلام والثقافة
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكم



التجديد في عرض السيرة النبوية مقاصد وروابط

د. محمد نوري
نائب رئيس الجامعة الزيتونية المفتوحة

السنة الخامسة والعشرون
العدد (٢٣٩) العام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



كتاب شهري محكم يصدر
عن الإدارة العامة للإعلام والثقافة
برابطة العالم الإسلامي

المشرف العام
أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي

الإشراف
د. حسن بن علي الأهدل

رئيس لجنة دعوة الحق
د. عصام بن هاشم الجفري

رئيس التحرير
د. سعد بن علي الشهراني

مدير التحرير
د. موفق بن عبدالله العوض

الإخراج والتصميم الفني
حاتم مبارك حميدة

عنوان المراسلة

ص. ب : ٥٣٧ مكة المكرمة
الإدارة العامة للثقافة والنشر

هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي الرابطة

ضوابط النشر في سلسلة دعوة الحق

- ١- أن يقدم البحث خدمة للدعوة الإسلامية ويعالج جانباً من مستجدات الأمة وقضاياها.
- ٢- ألا يكون قد سبق نشره أو قدّم للنشر لأيّ جهة أخرى.
- ٣- أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة والمنهجية العلمية وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
- ٤- أن يكون البحث موضوعياً لا يستهدف به تجريح الهيئات والشخصيات.
- ٥- ألا يقل البحث عن مائة وعشرين صفحة ولا يزيد على مائتي صفحة من صفحات السلسلة.
- ٦- يخضع البحث المقدم للتحكيم العلمي.
- ٧- أن يرفق المؤلف سيرته الذاتية وقائمة بأهم مؤلفاته.
- ٨- لا تعيد الرابطة البحث للمؤلف.
- ٩- يفضل أن يكون تنسيق البحث على النحو التالي:
(أ) مقاس الصفحات ٢١×١٤ سم.
(ب) الهوامش: أعلى، أسفل، يمين، يسار (٢) سم.
(ج) الخط لوتس لينوتيب أو مهند، حجم (١٦) عادي.
(د) العناوين الرئيسة حجم (٢٠) أسود.
(هـ) مع إرفاق البحث على قرص ممغنط (CD).
والله ولي التوفيق.



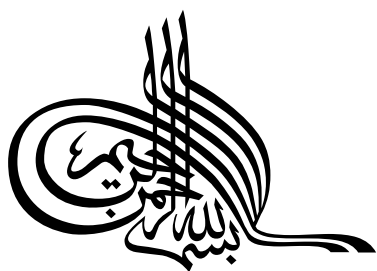
يمكن الاطلاع على ما صدر عن السلسلة من خلال
موقع الرابطة :

www.themwl.org

بريد المراسلة : dawatulhaq@themwl.org

التَّجْدِيدُ فِي
عَرْضِ السَّبِيحَةِ النَّبَوِيَّةِ
مَقْصِدُهُ وَضَوَائِطُهُ

د. محمد يسري
نائب رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله تعبدًا ورقًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، وأكرم وأنعم.

أما بعد:

فقد اختص الله ﷻ هذه الأمة بخصيصة عظيمتين كريمتين؛ أولاهما: القرآن الكريم هداية الله للخلق أجمعين، والذي آتانا به من الخيرات ما لم يؤت أحدًا من العالمين، ثانيتهما: النبي الكريم ﷺ خير الخلق، و خليل الحق، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، كان خلقه القرآن، ووصيته القرآن، وميراثه القرآن، وقوله وعمله في ظلال هدي القرآن.

ومن تأمل في جماع الخيرات ومعدن البركات، لم ير إلا سنة وسيرة خير البريات، فهما تبيان القرآن، ودستور أهل الإيمان، وقدوة أبناء كل زمان ومكان.

وسيرته ﷺ على مثلها يؤمن البشر، وبتدبرها يلين القلب ولو قُدَّ من حجر، اعتنى بجمعها العلماء، وتغنى بكمالها الشعراء، وتأدب بآدابها الأدباء الألباء، وهي في كل عصر معين تُرَّ لا ينضب عطاؤه، ولا يتغير عذبه وفراته، فكان حقًا على كل

مسلم أن يرد حوضه الممدود في الدنيا، ليسهل عليه الورود يوم القيامة.

وسيرة المصطفى ﷺ هي ديوان الحياة المحمدية الجامع، ومرسوم منهج الاتباع النافع، وفيها ومنها يُستقى علاج الأمة الناجع، والأمة مجمعة على العناية التامة بسيرة خير البشر، تعلمها الصالحون كما تُتَعَلَّم السورة من القرآن، ودونوا رواياتها من غير زيادة ولا نقصان، وعولوا عليها في أبواب من فهم العلم والبيان، فهي مفصلة لما أجمل، وشارحة لما اختصر في حديث المصطفى ﷺ.

ولا يخلو عصر من العصور إلا وللسيرة في عرضها وبيانها منه نصيب، إما بتدوين أو شرح أو تقريب، وفي زماننا تمس الحاجة إلى تمام الرعاية، ووافر العناية بسيرة الحبيب ﷺ، بتقريبها للأذهان، وعرض دروسها وعبرها؛ لينتفع بها في معالجة معضلات هذا الزمان.

وتجديد عرض السيرة له مقاصد شريفة، ومعالم منيفة، تؤكد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة، وتلاحظ الوحدة الجامعة بين أمة الإيَّان على مر العصور وكر الدهور، وتبرهن على وحدة حضارة أهل الإيَّان في أطرها العامة وسياجها الكلي، ومن أهم المقاصد تجديد العاطفة الإيمانية الصادقة،

والتربية على مائدة السيرة بالقدوة الحسنة المباركة، والتمرس على إحياء فقه السنن الربانية في الإصلاح والدعوة، والتفاعل الإيجابي مع الواقع المعاصر، والتبصر الواعي بالعواقب والمآلات.

وتجديد العرض والتدوين له قواعد تضبطه، وأصول تحكمه، ومصادر ترفده، ومشاريع مباركة بالخير واعدة، وبعميم النفع على الناس عائدة.

وهذه مشاركة في تجديد عرضها، ومدّ رواقها، وتسهيل درسها، وتقريب عبرها، وضبط مقاصد تدوينها ونشرها. وعلى النسق الآتي رتبها:

الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التجديد.

المبحث الثاني: مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها.

المبحث الثالث: مفهوم تجديد عرض السيرة.

المبحث الرابع: أضواء على مصادر السيرة في ظل تجديد العرض.

ثم يليه:

الفصل الثاني: جوانب من الخلل في كتابة وعرض السيرة النبوية قديماً وحديثاً:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين منهجي المحدثين والمؤرخين في تدوين
مرويات السيرة وقبولها.

المبحث الثاني: نماذج من الخلل في جانب الرواية والدراية
في مرويات السيرة عند المؤرخين.

المبحث الثالث: نماذج من الخلل في جانب تفسير الحوادث
والحكم عليها.

ثم يليه:

الفصل الثالث: مقاصد تجديد عرض السيرة: وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: التأكيد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة.

المبحث الثاني: العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية.

المبحث الثالث: التربية بالقدوة على مائدة السيرة النبوية.

المبحث الرابع: إحياء فقه السنن الربانية.

المبحث الخامس: الإفادة من الجوانب الحضارية في السيرة.

المبحث السادس: التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله.

المبحث السابع: تعظيم قدر الصحابة رضي الله عنهم ومعرفة فضلهم.

المبحث الثامن: تجديد العرض والبيان بالإفادة من معطيات
الزمان.

المبحث التاسع: تقديم السيرة النبوية الكاملة.

ثم يليه:

الفصل الرابع: قواعد وضوابط في منهج التدوين: وفيه ثمانية مباحث:
المبحث الأول: اعتماد المصادر الشرعية الصحيحة وتقديرها.
المبحث الثاني: اتخاذ الموقف الصحيح من المصادر الأخرى.
المبحث الثالث: الجمع بين المناهج المنضبطة والعلوم المترافدة.
المبحث الرابع: التأكيد على المعجزات النبوية جميعًا مع الدلائل
والخصائص والشمائل.

المبحث الخامس: تفسير الأحداث وفقًا للعقيدة الصحيحة والمنهج
الإسلامي الصحيح.

المبحث السادس: الحذر من الإسقاط التاريخي عند تفسير
الأحداث.

المبحث السابع: الابتعاد عن المجازفة بالأحكام التعميمية.

المبحث الثامن: استعمال المصطلحات الشرعية والصحيحة.

ثم يليه:

الفصل الخامس: قواعد وضوابط في العرض وأساليبه: وفيه
ستة مباحث:

المبحث الأول: التركيز في العرض على الأهداف والمقاصد
الإسلامية.

المبحث الثاني: الاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة النبوية.

المبحث الثالث: تحقيق البلاغ المبين بعرض سيرة النبي الأمين ﷺ.

المبحث الرابع: الإفادة المنضبطة من وسائل الإعلام
والتقنية المعاصرة.

المبحث الخامس: تتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد.
المبحث السادس: العناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات.

ثم الخاتمة.

والله تعالى هو المسئول أن يحسّن نية كاتبها، وأن يتقبلها بقبول
حسن، إنه هو ربنا، وهو -وحده- حسبنا، ونعم الوكيل.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.
والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

د. محمد بن سيري

عشية يوم الخميس

٦ / ١٢ / ١٤٢٩ هـ -

٤ / ١٢ / ٢٠٠٨ م

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

مفاهيم ومصطلحات

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التجديد

بين يدي مصطلح التجديد :

ليس أمراً سهلاً أن يحدد مصطلح التجديد تحديداً أميناً دقيقاً، في زمن أصبحت المصطلحات مستهدفة من قبل مختلف التوجهات والأيدولوجيات المتعارضة حيناً والمتناحرة أحياناً!

ولا شك أن مصطلح التجديد يستعمل اليوم للتوصل به إلى نقض بعض عرى الإسلام تارة، وإلى توهين بعض عراه الأخرى، وإن كان الأصل أن يرفع شعاراً للمصلحين الصادقين المجددين لما اندرس من معالم الدين.

وأمام هذه الإشكالية فلا بد من وقفة متأنية مع الدالتين؛ اللغوية، والاصطلاحية الشرعية، بحيث يزول الإيهام، ويرتفع اللبس، ويعبّد الطريق، ليكشف عن فهم أمين ودقيق لمصطلح التجديد.

المعنى اللغوي للتجديد:

التجديد: تصيير الشيء جديداً، وجدّد الشيء: أي: صار جديداً^(١).

وكل ما لم تأت عليه الأيام يسمى جديداً؛ ولذا يسمى الليل والنهار الجديدين والأجدين؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، (٣/ ١٠٧).

جديد^(١).

والجديد نقيض الخلق^(٢)، والجدة نقيض البلى^(٣).

قال ابن الرومي:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى تَجْدِيدِ وُدِّكُمْ وَهَلْ يُجَدِّدُ شَيْءٌ بَعْدَ إِخْلَاقِ^(٤)

وعليه فإن التجديد لغة يدور حول العودة بالشيء إلى حالته الأولى قبل أن يصيبه البلى، وهذا المعنى اللغوي هو المعتمد في بيان القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]. والمقصود: إعادة خلقهم كما كان أول مرة، وليس ابتداء خلقهم على غير مثال سابق.

المعنى الاصطلاحي للتجديد:

التجديد اصطلاحاً عند الشرعيين هو التجديد اللغوي عينه، مع ما يضاف إليه من قيود شرعية تعطيه مدلولاً خاصاً ومعنى جديداً.

ولا امتراء في أن هذا المصطلح قد ورد على لسان النبي ﷺ واستعملت مادته في السنة النبوية، ومن أشهر ذلك قوله ﷺ فيما

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (١/٤٠٩).

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م، (٢/٤٤٥).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٣/١٠٧).

(٤) ديوان ابن الرومي، بتحقيق حسين نصار، ط دار الكتب المصرية ١٣٩٧هـ، القاهرة، (٤/١٦٤٧).

رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(١).

لذا نجد أهل السنة في كتب شروح الحديث لا يعرفون من معنى التجديد سوى أنه: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات»^(٢).

ودور المجدد لا يخرج عن أنه يحيي «ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة»^(٣).

وتجديد الدين يستلزم بالضرورة إظهار هدايته، وبيان حقيقته وأحقيقته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو التفريط في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران. والمعاصرون من علماء الإسلام ودعاته يقررون ذلك المعنى ويجلّونه، فهو عند المودودي: «تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) والحاكم في المستدرک (٥٦٧/٤) من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (١١/٣٩١).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، (١٤/١).

الإمكان»^(١).

وهو عند القرضاوي: «يقتضي جملة أمور:

١ - الاحتفاظ بجوهر القديم، وإبراز طابعه وخصائصه.

٢ - ترميم ما بلي منه، وتقوية ما ضعف من أركانه.

٣ - إدخال تحسينات عليه لا تغير من صفته ولا تبدل من

طبيعته»^(٢).

ويزيد البيان وضوحاً فيقول: «ولا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة

منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول ﷺ وصحابته،

ومن تبعهم بإحسان»^(٣).

دخيل يمس ومن هذا البيان الوافي لعلماء الإسلام قديماً

وحديثاً نرى أن التجديد يتضمن نفيًا وإضافة، فالتجديد يحرس

الدين بنفي كل أصوله أو فروعه بالتبديد، أو التأويل الفاسد

والانتحال الباطل، وهذا معنى قوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل

خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل

الجاهلين»^(٤).

(١) موجز تجديد الدين وإحيائه، لأبي الأعلى المودودي، ط ٣، دار الفكر بيروت، ١٩٦٨ م، (ص ٢٥).

(٢) الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، للدكتور يوسف القرضاوي، ط ٢، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٢٤ هـ، (ص ٢٩-٣٠).

(٣) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدين، للدكتور يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م، (ص ٢٨).

(٤) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،

والتجديد يحرس الدين بإضافةٍ تقتضي تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدُّ من وقائع وأحداث، وهذا هو الاجتهاد الذي به تستنبط أحكام ما استجدَّ من الحوادث والوقائع.

فالتجديد عند الفقهاء قريب من الاجتهاد، أو موازٍ له، وهو إضافة أحكام مستنبطة لنوازل مستجدة.

يقول السيوطي: «المجدد: هو المجتهد، وإذا هُمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى وأشبه بالحكمة»^(١).

ومقصد الإضافة هنا إمداد التجربة الإنسانية النامية بما تحتاج إليه من أحكام تتلاءم مع ما يستجد من أوضاع، وفي هذا حفظٌ للدين من الجرأة عليه بحجة توقف عطائه الحضاري، أو قصور أحكامه عن ملاحقة كل جديد، وضبط الاستفادة من كل مفيد.

ومن هنا يتبين -مثلاً- مأخذ أبي بكر رضي الله عنه في جمع القرآن، ويتجلى فقه عمر رضي الله عنه في جمع الناس على إمام واحد في قيام رمضان، ويظهر أيضاً منزع عثمان رضي الله عنه في نسخ المصاحف واعتماد ما أرسله إلى الأمصار.

ولا حرج أن يدخل في الإضافة كل جديد من الوسائل

والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٩/١٠) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، وصححه الألباني من حديثه في المشكاة برقم (٢٤٨).

(١) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم، ط دار الدعوة، الإسكندرية ١٤٠٣هـ، (٥٩/١).

والآليات التي تقدم المضمون بلا تحريف أو تبديل أو تأويل فاسد، والتي لا تصادم نصًّا شرعيًّا، وتحقق المقصود من أقرب سبيل وأيسر طريق.

وهذه الإضافة لا حرج فيها ما دامت متجهة نحو الشكل لا المضمون، وصَوَّب الوسائل لا المقاصد وإلحاق الفروع بالأصول. أما تجديد المتغربين، وأرباب العلمنة والحدثة، الذي يتضمن زحزحة الإسلام عن ضبط الحياة، وفصل الدين عن الدنيا؛ فهذا عين الطمس والتحريف والتدمير!

وهو في حقيقته: «نبذ الشريعة والقيم، والمعتقدات، والقضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجديد، وتجاوز جميع ما هو قديم، وقطع صلة الأمة به»^(١).

وعلى ما سبق فإن تجديد الدين يدور في فلكي النفي والإضافة، حتى يعود الدين كما كان في الصدر الأول؛ التزامًا بالدين على أكمل ما يكون الالتزام، وتصديًا لكل جديد بالاجتهاد الدائم الدءوب الذي يضبط كل جديد بضابط الإسلام^(٢).

وهذا النفي وتلك الإضافة ليست في الدين ونصوصه، ولا في أصوله أو معاقده، وإنما هي في علاقة الأمة بدينها، وفي سلوكها،

(١) تقرّظ كتاب الحدّثة في ميزان الإسلام للعلامة ابن باز رحمه الله، والكتاب من تأليف د. عوض القرني ط دار الأندلس الخضراء، جدة، (ص ٧).

(٢) تجديد الدين، مفهومه، وضوابطه، وأثاره، للدكتور محمد حسنين، نشر جائزة نايف بن عبد العزيز، ط ١، ١٤٢٨ هـ، (ص ٣٥).

وفكرها المتفاعل مع نصوصه وثوابته؛ إذ هذا الجانب هو ما تعتريه القوة والضعف، ويتنزل عليه التجديد، ويقبل الإصلاح، وفيه يقع التغير^(١).

قال ابن حزم رحمه الله: «واتفقوا أنه مذ مات النبي ﷺ فقد انقطع الوحي، وكمل الدين، واستقر، وأنه لا يحل لأحد أن يزيد شيئاً من رأيه بغير استدلال منه، ولا أن ينقص منه شيئاً، ولا أن يبدل شيئاً مكان شيء، ولا أن يحدث شريعة»^(٢).

فالتجديد عند الشرعيين هو عمل لإحياء منارات الدين، ومواجهة لتحريف المحرفين، وسعي للتمكين، وحفظ لصلاحية الشريعة بالاجتهاد المحكم الرصين.

(١) التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمانة، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٤هـ (ص ٢٠).

(٢) مراتب الإجماع، لابن حزم، ت: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (ص ٢٧٠).

المبحث الثاني: مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها

المعنى اللغوي للسيرة:

يطلق لفظ السيرة على السنة، قال خالد بن زهير^(١):
فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
وقوله أنت سرتها، أي: جعلتها سائرة بين الناس.
والسيرة هي الهيئة والحالة، قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
الْأُولَى﴾ [طه: ٢١].

والسيرة: أخبار الأولين، وسيرة: حدث بحديث الأوائل^(٢).
فالسيرة غلب استعمالها على تاريخ بعض الأشخاص لشهرتهم
ومكانتهم.

المعنى الاصطلاحي للسيرة:

لفظ السيرة حين يطلق يراد به السيرة النبوية على صاحبها أفضل
سلام وأزكى تحية، وأول من شهر هذا المصطلح هو محمد بن إسحاق
(ت: ١٥١هـ).

قال ابن النديم: «وله من الكتب:... كتاب السيرة والمبتدأ

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣٨٩/٤).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٣٨٩/٤)، تاج العروس، ط الكويت،
(١١٧/١٢).

والمغازي...»^(١).

والسيرة جمعها «سِير»، قال ابن حجر: «...وأطلق ذلك على أبواب الجهاد؛ لأنها متلقة من أحوال النبي ﷺ في غزواته»^(٢).

فالسيرة هي ذكر وقائع حياته ﷺ من يوم مولده إلى يوم وفاته، وطريقته في جميع أمره، وبيان دعوته، ومعجزاته؛ بل إن سيرته ﷺ بحد ذاتها معجزة ناطقة بصدق نبوته.

يقول ابن حزم (رحمته الله): «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقاً، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى»^(٣).

والسيرة النبوية وإن كانت ضرباً من التاريخ إلا أنها تاريخ خير البشر كافة، وصفحاتها أنصع صفحات الطهر والخير في التاريخ عامة.

فَمَا حَمَلَتْ نَاقَةً فَوْقَ ظَهْرِهَا أَبْرَ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

ومن هنا ندرك أواصر العلاقة المتينة بين السيرة والسنة، حيث ظهر من خلال المعنى اللغوي القرب الظاهر الذي ينتهي إلى الترادف بينهما، فالسنة والسيرة كلاهما بمعنى الطريقة، محمودة

(١) الفهرست، لابن النديم، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، (١/٩٢).

(٢) فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ، (٦/٤).

(٣) جوامع السيرة، لابن حزم، بتحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، القاهرة، ط ١، (ص ٢٠).

كانت أم مذمومة.

وعلى الصعيد الاصطلاحي تظهر علاقة الجزئية، والتي قد تنتهي إلى التطابق؛ إذ السنة النبوية تبحث فيما أثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها^(١).

أهمية دراسة علم السيرة :

والسيرة تكمن أهميتها وتعظم قيمتها أنها طريق الاتباع، ومنهج الاقتداء بالمصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وهي ديوان جامع أيضًا لحياة الصحابة مع نبيهم، يُظهر فضلهم، ويكشف عن سامق منزلتهم، كما وصفهم أخوهم عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعنهم: «أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرأئهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط ١، ١٣٩٨هـ، (١٨/١٠).

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي-بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ (٣٠٥/١).

وهي تجمع علومًا تتعلق بفهم كتاب الله، بمعرفة أسباب نزوله، وملابسات حوادثه، وتكشف عن روحه ومقاصده، كما تجمع علومًا لطالب الكمال والجمال في الدين والدنيا، في العلم مع العمل، والأدب مع الخلق، والسياسة مع الكياسة، والبطولة مع الشهادة، والتربية مع التزكية، فهي بالجملة منهج الحياة والنجاة، ومنهج التربية والدعوة، ومنهج الجهاد والسلم، ومنهج السياسة والحكم.

• وقد تواتر عن أسلافنا الصالحين صالح العناية بسيرة نبي الهداية ﷺ، فهذا زين العابدين علي بن الحسين بن علي رحمه الله (ت: ٩٣هـ) يقول: «كنا نُعلِّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلِّم السورة من القرآن»، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله (ت: ١٣٤هـ): «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدّها علينا وسراياه، ويقول يا بنيّ هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها»^(١).

وقال الزهري (ت: ١٢٤هـ): «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا»^(٢).

«وعن أبي الحسن بن فارس قال: (إن السيرة النبوية بخصوصها منه -أي: من التاريخ- مما يحق على المرء المسلم حفظها، ويجب على ذي الدين معرفتها)، ويتأيد ذلك بقول بعضهم -في حق من يهمل تعلّم

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣، (٢/ ١٩٥).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م (٣/ ٢٩٧).

السيرة- يخشى لمن جهلها إذا قيل له (أي: في القبر): ما تقول في هذا الرجل؟ أن يقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، أعاذنا الله من ذلك»^(١).

لعلم السيرة أهمية بالغة في الحديث وعلومه، نجمل ذلك في النقاط التالية:

- تعد السيرة من أهم سبل التعرف على السند ورجاله من الصحابة، وهذا من الأهمية بمكان في معرفة اتصال الإسناد من عدمه.
- والسيرة أيضاً من أهم مقاييس نقد متون السنة، والكشف عن الخطأ أو الكذب والوضع في متن الحديث. وكم من حديث حكم عليه بالوضع بسبب جهل واضعه بالتاريخ^(٢).
- والسيرة عليها المعول في معرفة الناسخ من المنسوخ في الحديث، كما بين الحافظ العراقي أن النسخ لا يصار إليه بالاجتهاد، وإنما يصار إليه عند معرفة التاريخ^(٣).
- والسيرة أهم مصادر معرفة أسباب ورود الحديث^(٤).

(١) الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ، للسخاوي، ت: د. أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، (ص ٨٢).

(٢) يراجع للأمثلة: الموضوعات الكبرى لابن الجوزي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط المكتبة السلفية بالمدينة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، (٢/ ٢٥١).

(٣) فتح المغيث، للسخاوي، ت: د. عبد الكريم الخضير، ود. محمد الفهيد، دار المنهاج - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ، (٣/ ٤٤٩).

(٤) يراجع للأمثلة: أسباب ورود الحديث الشريف للسيوطي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، (ص ٣٢٦-٣٢٧).

- والسيرة شارحة لما أجمل، ومفصلة لما أوجز من أحاديث النبي ﷺ الخاصة بموضوعات السير، والمغازي، والفتن، وقد عول الشراح للحديث النبوي عليها كثيرًا عند شرح تلك الأبواب^(١).

(١) يراجع للأمثلة: فتح الباري (٧/٢٧٩-٥١٩)، (٨/٣-١٥٣).

المبحث الثالث

مفهوم تجديد عرض السيرة

إن هذا التجديد في عرض السيرة يقصد به أول ما يقصد: ما يتعلق بنفي ما علق بالسيرة من أحداث لا تقبل روايتها، أو مواقف لا تثبت عن أصحابها، كما يعنى بنفي مناهج منحرفة في تفسير أحداثها أو إنكار معجزاتها، أو الانحراف إلى جهة تأويلها. ومن هذا التجديد في العرض: ما يخص أسلوب تناولها، وطريقة درسها، بإدراك فقهها، والوقوف على دقيق أسرارها وجليل حُكمها.

ومن هذا التجديد في العرض: ما يتناول إبراز الهدى الأول، وإظهار السمات الأكمل للنبي المبعث ﷺ، ومعالجة مشكلات العصر ومعضلاته، بتجلية هدي خير الخلق وحبيب الحق ﷺ ؛ ليكون نور الظلام، ونبراس الهدى، في واقع يموج بالغلو والتسيب معاً، ويضطرب بالإفراط والتفريط جنباً إلى جنب، وتختلط فيه المفاهيم مع السبل، وبذلك تستلب الأديان وتستباح الأوطان.

ومن هذا التجديد في العرض: تيسير لغة أحداث السيرة بما يقربها للأذهان، ويجعلها كالماثلة أمام العيان، فيدخل في هذا شرح أحداثها في مواقعها، ونقل أخبارها من أماكنها، والاستفادة من تقنيات الإعلام المعاصرة في تعظيم التفاعل معها والانفعال بها. وفي طي ما يأتي من صفحات؛ تأتي أضواء على مصادر السيرة

النبوية وجوانب من الخلل في كتابتها تكشف عن أهمية تجديد وإعادة عرضها، وبيان لمعالم تجديد عرض السيرة، وضوابط منهج الكتابة وأسلوب العرض.

المبحث الرابع أضواء على مصادر السيرة النبوية في ظل تجديد العرض

أخبار السيرة كغيرها من الأخبار، كانت تنقل بالرواية وتعتمد على السماع، وقد سبق ما يدل على عناية أبناء الصحابة بحفظها وروايتها، وهذا كان سبباً في حفظ تلك المرويات؛ لأنها نزلت عندهم منزلة أنسابهم.

ورغم تداول علماء السيرة -آخر القرن الثاني- لأوائل الكتب المصنفة في المغازي والسير، مثل كتاب الزهري (ت: ١٢٤هـ)، وموسى بن عقبة (ت: ١٤١هـ)، ومعمّر بن راشد (ت: ١٥٤هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ)، وغيرها، إلا أنهم بقوا معتمدين بالسماع من الرواة، والرحلة لطلب الحديث.

وبانتهاء القرن الثاني اكتمل جمع مرويات السيرة، ومن ثم اتجهت الجهود خلال القرن الثالث الهجري إلى كتب المرويات لجمع مادتها واستقصاء أخبارها.

حيث ظهر جلياً اعتماد ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) على مغازي شيخه الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، واعتماد خليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ) على ابن إسحاق (ت: ١٥١هـ)، والبلاذري اعتماد على عدة مصادر منها: طبقات ابن سعد، ومغازي الواقدي (ت: ٢٠٧هـ).

ومع بداية القرن الرابع تنوع التأليف في السيرة، وتعددت أغراضه، وتنوعت المصادر والروافد التي رجع إليها المصنفون،

فظهر الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب الشروح والتفسير وغيرها.

واستمر الحال إلى العصر الحديث حيث عني عدد من الباحثين بمصادر السيرة في تأليفهم ورسائلهم الجامعية؛ ففي الهند عني السيد سليمان الندوي بمصادر السيرة في كتابه «الرسالة المحمدية»، الذي أصله محاضرات ألقاها في جامعة مدراس عام ١٣٤٤هـ.

وكذا اعتنى بمصادر السيرة د. محمد حميد الله في أطروحته التي قدمها إلى جامعة (باريس) عام ١٩٣٥م عن الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، وكذلك في كتابه الذي نشره بالفرنسية بعنوان «نبي الإسلام: سيرته، وأثره» عام ١٩٥٩م.

واعتنى د. مصطفى السباعي (ت: ١٣٨٤هـ) في تدريسه لمادة السيرة لطلبة كلية الشريعة بدمشق بمصادر السيرة، وطبعت تلك المحاضرات وتداولها القراء من عام ١٣٨١هـ.

وكذلك فعل د. عمر فروخ (ت: ١٤٠٧هـ) في مادة تاريخ صدر الإسلام، واستمر عمل المعاصرين بتقديم كتبهم في السيرة بذكر مصادرها، كما يبدو هذا جلياً من صنع د. محمد البوطي، ود. أكرم ضياء العمري وغيرها.

إلا أن دراسة تقويمية متميزة قدمها الأستاذ محمد سرور بن نايف بعنوان: «دراسات في السيرة النبوية»، عنت بمنهج خير القرون في كتابة السيرة وتعرضت لمصادرها ومناهج مؤلفيها والملاحظات الواردة عليهم، وتناولت بعض المباحث المتعلقة

بالجرح والتعديل ومنهج المحدثين في رواية السيرة، وتناولت شبهات المستشرقين حول تدوين السيرة بالإيضاح والرد المفحم، ثم تناولت كتبهم في السيرة نفسها بالدراسة والتفنيد، وعرّجت على مناهج المنحرفين بعامة، ودعاة التغريب والعلمنة، وموقفهم من السيرة والتاريخ الإسلامي لمرحلة الخلافة الراشدة، مع تناولٍ لمنهج المدرسة الإصلاحية بالمراجعة والتقويم.

والكتاب في أصله بحوث نشرها مؤلفها في حلقات متسلسلة عامي ١٣٩٤هـ - ١٣٩٥هـ، ثم طبع في عام ١٤٠٦هـ.

ويبقى كتاب د. فاروق حمادة مؤلفاً منفرداً في هذا الموضوع، وقد نشر عام ١٤٠٠هـ بعنوان: «مصادر السيرة النبوية وتقويمها»، وهو في أصله محاضرات ألقاها على طلبة كلية اللغة العربية بجامعة القرويين بالمغرب.

ومن البحوث المتميزة في هذا المضمار والتي صدرت مؤخراً بحثان كلاهما بعنوان: «مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين» للدكتور ياسر بن أحمد نور، والدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس.

وهما البحثان الفائزان بجائزة نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبوية في الدورة الثالثة وقد طبعا عن الجائزة عام ١٤٢٨هـ.

وبالجملة فقد انتهى عدُّ مصادر السيرة عند المعاصرين إلى عشرة مصادر بيانها كالآتي:

١ - القرآن الكريم وكتب التفسير بالمأثور.

- ٢- الحديث النبوي وكتب الشروح.
 - ٣- كتب السيرة والمغازي.
 - ٤- شعر الدعوة الإسلامية وكتب الأدب.
 - ٥- كتب الشمائل والدلائل والخصائص.
 - ٦- كتب التاريخ العالمي والتاريخ الإسلامي العام.
 - ٧- الدراسات النوعية في السيرة النبوية.
 - ٨- كتب الطبقات والتراجم والأنساب والصحابة.
 - ٩- كتب تاريخ المدن.
 - ١٠- كتب الجغرافيا والبلدان.
- وعند الحديث عن مقاصد التجديد في العرض ستكون عودة لبعض هذه المصادر بما يناسب البحث وطبيعته وموضوعه.

الفصل الثاني

جوانب من الخلل في كتابة وعرض السيرة النبوية قديماً وحديثاً

تمهيد:

إن الحديث عن التجديد في مجال عرض السيرة اليوم يقتضي بالضرورة تأملاً في مواطن الضعف، وتعرفاً على مكان من الخلل ومواقع القصور من مختلف الجوانب، حتى يتناول التجديد جميع الجوانب بالإصلاح، وتحقيق المصالح المتوخاة من عرض السيرة وكتابتها لأبناء هذا الزمان.

وقبل الشروع في ذكر شيء من جوانب الخلل في كتابة السيرة قديماً أو حديثاً يحسن أن نقدّم الحديث بكلمة قيمة للمؤرخ العلامة شبلي النعماني فيما نقله عنه سليمان الندوي في كتابه: «الرسالة المحمدية» حيث يقول:

«لما أرادت الأمم الأخرى من غير المسلمين أن تجمع في أطوار نهضتها أقوال رجالها ورواياتهم كان قد فات عليهم زمن طويل، وانقضى بينها وبينهم عهد بعيد، فحاولوا كتابة شؤون أمة قد خلت، ولم يميزوا بين غث ذلك الماضي وسمينه، وصحيحه وسقيمه؛ بل لم يعلموا أحوال رواة تلك الأخبار ولا أساءهم ولا تواريخ ولادتهم، فاكتفوا بأن اصطفوا من أخبار هؤلاء الرواة المجهولين ورواياتهم ما يوافق هواهم، ويلائم بيئتهم، وينطبق على

مقاييسهم.

ثم لم يمض غير زمن يسير حتى صارت تلك الخرافات معدودة كالحقائق التاريخية المدونة في الكتب، وعلى هذا المنهاج السقيم صنف أكثر الكتب الأوربية مما يتعلق بالأمم الخوالي وشؤونها، والأقوام القديمة وأخبارها، والأديان السالفة ومذاهبها ورجالها.

أما المسلمون فقد جعلوا لرواية الأخبار والسير قواعد محكمة يرجعون إليها، وأصولاً متقنة يتمسكون بها وأعلاها أن لا يروي واقعة من الوقائع إلا عن الذي شهدها، وكلما بعد العهد عن هذه الواقعة فمن الواجب تسمية من نقل ذلك الخبر عن الذي نقله عمن شهد.

وهكذا بالتسلسل من وقت الاستشهاد بالواقعة والتحدث عنها إلى زمن وقوعها، والتثبت من أمانة هؤلاء الرواة وفقهم وعدالتهم وحسن تحملهم للخبر الذي يروونه، وإذا كانوا على خلاف ذلك وجب تبينه أيضاً.

وهذه المهمة من أشق الأمور، ومع ذلك فإن مئات من المحدثين تفرغوا لها ووقفوا أعمارهم على تحري ذلك واستقصائه وتدوينه، وطافوا لأجله البلاد، ورحلوا بين الأقطار، باحثين دارسين لأحوال الرواة وكانوا يلقون المعاصرين لهم من الرواة لينقدوا أحوالهم، وإذا اطمئنوا إلى سيرة فريق منهم سألوهم عما يعرفونه من أحوال الطبقة التي كانت قبلهم، وقد اجتمع من هذا

المجهود العلمي العظيم علم مستقل من العلوم الإسلامية أطلق عليه فيما بعد عنوان (علم الرجال) فتيسر لمن أتى بعدهم أن يقفوا على أقدار مئات الألوف من الحفاظ والعلماء والرواة وغيرهم.

هذا فيما يتعلق بالرواية وحملتها، وهنالك علم نقد الحديث من جهة الدراية والفهم، وأن له أصولاً محكمة وقواعد متقنة اتخذوها لنقل المرويات وتمييز صحيحها من سقيمها، وغثها من السمين، والراجح من المرجوح، وقد تحرى علماء السنة في هذا الأمر الحق وحده، وتمسكوا فيه بالمحجة البيضاء وكل ما يؤدي إليه، فكان علمهم هذا من مفاخر الإسلام.

وأنت تعلم أن ممن تحمّل الرواية رجالاً من الولاة والحكام والأمراء الذين يخشى جانبهم، ويحذر الناس بطشهم وجبروتهم، فكان المحدثون يلتزمون فيهم قول الحق وينزلونهم في المنازل التي يستحقونها، ولا يبالون بما قد يصيبهم من مكروهٍ بسبب هذه المصارحة بما يرضي الله ويصون أمانات الإسلام.

وكان وكيع محدثاً كبيراً، وكان أبوه عاملاً للدولة على بيت المال، فكان إذا روى عن أبيه شيئاً عضده برواية راوٍ آخر، فإذا انفرد أبوه بخبر توقف وكيع عن الأخذ بذلك حتى تعضده رواية أخرى.

فهل رأيت مثل هذا الاحتياط ومثل هذه المبالغة في الثبوت عند أهل ملة أخرى غير ملة الإسلام؟

ويقول الإمام معاذ بن معاذ رأيت المسعودي^(١) في سنة ١٥٤ هـ يطالع كتاباً -يعني أنه قد تغير حفظه-^(٢) ومما يثير العجب والاستغراب أن الإمام معاذ بن معاذ تقدم إليه رجل بألف دينار على ألا يكتب في كتابه شيئاً عن رجل سماه فلا يوثقه ولا يجرحه؛ بل يسكت عنه، فرفض الإمام ذلك المال بشدة وقال: «إني لا أكتُم الحق»، فهل يعرف أحد في تاريخ البشر مثلاً للاحتياط في العلم والأمانة للحق والاستقامة على منهج الصدق أعلى من هذا المثال؟^(٣).

وبعد هذا البيان عن منهج المحدثين في نقل ورواية أخبار السيرة، تنتقل إلى شهاداتٍ منصفةٍ لأولئك الذين شهدوا شهادة حق في شأن السيرة وتدوينها، والفضل ما شهدت به الأعداء.

يقول المستشرق الألماني (د. سبرنجر)، وقد ادَّعى أنه أول أوربي كتب في سيرة محمد ﷺ معتمداً على المصادر العربية الأولى، ولم يعتمد في تأليفه إلا عليها، وقد عني بكتاب المغازي للواقدي، ونشر بعناية (فان كرامر) وتصحيحه سنة ١٩٥٦م، وبعنايته أيضاً طبع كتاب: (الإصابة في تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر.

يقول في مقدمة كتاب الإصابة المطبوع في كلكتة بالهند: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الملك بن مسعود، توفي سنة ١٦٥ هـ.

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر، حيدرآباد، ط ١، ١٣٢٥ هـ، (٦/ ٢١١).

(٣) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي (ص ٩٠-٩٢).

المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم^(١).

كما كتب المستشرق (جون ديون بورت) سنة ١٨٧٠م كتابًا بالإنجليزية في السيرة المحمدية عنوانه: «اعتذار من محمد والقرآن»، قال في مقدمته: «لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلًا وأشمل بيانًا مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله»^(٢).

كما ألقى (ريورند باسورت سميث) عضو كلية التمثيل في أوكسفورد سنة ١٨٧٤م محاضرات عن محمد ﷺ والمحمدية جاء فيها: «كل ما يقال في الدين يغلب فيه الجهل ببدايته... فالذي نعلمه من شئون زردشت وكونفوشيوس أقل من الذي نعلمه عن سولون وسقراط، والذي نعلمه عن موسى ﷺ، وبوذا أقل مما نعلمه عن أمبرس وقيصر!

ولا نعلم من سيرة عيسى إلا شذرات تتناول شُعبًا قليلةً من شُعبِ حياته المتنوعة والكثيرة.

أما الإسلام فأمره واضح كله، ليس فيه سر مكتوم عن أحد، ولا غمة يَنْبَهُمُ أمرها على التاريخ، ففي أيدي الناس تاريخه

(١) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي (ص ٧١).

(٢) المصدر السابق (ص ٩٨).

الصحيح، وهم يعلمون من أمر محمد ﷺ كالذي يعلمونه من أمر
(لوثر)، (وملتن).

وإنك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون أساطير ولا أوهامًا
ولا مستحيلات، وإذا عرض لك طرفًا من ذلك أمكنك تمييزه عن
الحقائق التاريخية الراهنة، فليس لأحد هنا أن يخدع نفسه أو يخدع
غيره، والأمر كله واضح وضوح النهار، كأنه الشمس في الضحى
يتبين تحت أشعة نورها كل شيء^(١).

والحق أننا مهدنا بكلام بعض محققينا وبعض المنصفين من
المستشرقين وأساتذة الجامعات ليتبين بجلاء أنه لا مقارنة بين منهج
تدوين وتوثيق السيرة عندنا معاصر المسلمين وبين ما عند غيرنا، وإن
كان لنا أن نبدي بعض ملحوظات أو تنبيهات حول منهج المؤرخين
في تدوين السيرة وتفسير أحداثها.

(١) الرسالة المحمدية (ص ٩٩-١٠٠).

المبحث الأول:

بين منهجي المحدثين والمؤرخين في تدوين مرويّات السيرة وقبولها

سبق التنويه عند الكلام عن مصادر السيرة النبوية أن السنة النبوية من أهم تلك المصادر، وأن هناك لحمة قوية ووشيجة متينة بين السنة والسيرة لغةً واصطلاحاً، وهذا يؤكد بالضرورة أن بين علماء الحديث ومؤرخي السيرة صلةً ونسباً، وأن هذا المشترك المعرفي بين موضوع علمي السنة والسيرة ليفضي إلى مشترك منهجي بين العلمين بشكل عام، وذلك سواء على صعيد نقل الخبر أو نقده.

ومما ساعد على وجود هذه الوحدة المنهجية أن عدداً من المحدثين عنوا بالتأريخ والتدوين فيه، وأن كثيراً من مؤرخي السيرة كانوا بالأساس محدّثين؛ بل لقد رأينا من يشترط في المؤرخ نفس الشروط المطلوبة في المحدث، فمثلاً يقول الكافيّجي (ت: ٨٧٩هـ) عن شروط المؤرخ: «... ينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة»^(١).

أما السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) فيقول: «أما شرط المعني به - بالتاريخ - فالعدالة مع الضبط التام»^(٢).

ومع هذا التقارب إلا أنه تميز منهج المحدثين - في الجملة - بالضبط والنقد، والتحري للمرويّات روايةً ودرايةً، على ما يعرف في كتب

(١) المختصر في علم التاريخ، نشره روزنثال، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، بغداد مكتبة المتنبي، ١٩٦٣م، (ص ٣٣٦-٣٣٧).

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي (ص ١٠٧).

الحديث ومدوناته المعروفة كالصحيحين والسنن والمسانيد وغيرها، على تفاوت بين شروط المحدثين في كتبهم.

ووجدت مسافة بين كتب المؤرخين والمحدثين في مجال عرض السيرة النبوية وتدوينها، واتسعت في بعض الأحوال الشقة بين الفريقين.

والموازنة والمقارنة بالجملة بينهما في جانبين كبيرين:

أولهما: جانب الرواية وما يتعلق بنقلها؛ من السماع والعرض والإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام، والوصية والوجادة وكلها من طرق تحمل الرواية.

ويلتحق بهذا الجانب جانب قبول الرواية من خلال منهج الدراية من نقد المصدر من خلال الجرح والتعديل، ونقد المضمون من خلال عرض المتن على معايير دقيقة لنقده والكشف عن الخطأ والتصحيح فيه، والمقابلة بين الروايات والمقارنة بين طرق الرواية الواحدة، والعرض على آيات القرآن والحقائق التاريخية، وصحيح المعقول.

وأما الجانب الثاني: فهو جانب تفسير الحوادث والحكم عليها، والموقف منها، والإسقاط عليها، وتوجيهها الوجهة التي تتفق ومذهب المصنف سواء أكان محدثاً أم كان مؤرخاً.

وقد دخل من هذا الباب طائفة من أهل الأهواء والزنادقة، وأعداء الإسلام، وتابعهم على ذلك المستشرقون وأذئابهم في العصر الحاضر؛ حيث فسروا أحداث السيرة وفقاً لتصوراتهم وفهمهم

الخاص لحركة الحياة والتاريخ، بعيداً عن صحيح العقيدة والفهم^(١)،
وعن الجانب النقدي رواية ودراية.

واستعان الجميع بمرويات مطعون في صحتها من جهة الرواية
والدراية وأخذوا يتنافسون في توظيفها لخدمة أغراضهم الفاسدة
ومبادئهم الكاسدة.

وسوف نعرض نماذج مختصرة في كلا الجانبين للتنبيه على
مواطن الخلل ومكامن القصور التي يتعين أن تتناولها يد التجديد
بالتسديد.



(١) منهج دراسة التاريخ الإسلامي، محمد أحزون، دار طيبة الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ،
(ص ١١-١٢).

المبحث الثاني:

نماذج من الخلل في جانب الرواية والدراية في مرويات السيرة

انقسم المؤرخون في نقل وتوثيق أخبار السيرة إلى فريقين؛ الفريق الأول: اعتمد الإسناد في مروياته، والفريق الثاني: لم يعتمد الإسناد وإنما أشار إلى المصنّف الذي أخذ عنه.

وإذا كان الزهري وموسى بن عقبة من أعيان المتقدمين من الطائفة الأولى فيما كتبه في السيرة النبوية اعتماداً في نقل مروياتها على طريقي السماع والعرض، إلا أن هذا لم يمنع وجود عدد من الروايات المرسلة في كتابيهما، كما اعتمدا على الوجادة^(١) كطريق للنقل في المغازي.

وأما الواقدي من المتقدمين وابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ) من المتأخرين فيصلحان مثلاً لمن لم يلتزم الصورة المثلّية في انتقاء أسانيده المتعلقة بأخبار السيرة النبوية، حيث أوردوا كثيراً من الأحاديث المنقطعة والمرسلة الضعيفة، والتي امتلأت بالإبهام حيال تحديد شخصية الرواة^(٢).

(١) الوجادة: هي أن يأخذ العلم من صحيفة أو كتاب من غير أن يكون له من صاحبه سماع أو عرض أو إجازة أو مناولة. انظر: تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٦٠)، وأكثر المحدثين لا يعتبرها إلا إذا حصلت الثقة بها.

(٢) مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، د. ياسر نور، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، (ص ٣٩٥).

وإذا ما قورن هذا بأداء المحدثين في نقل مرويات السيرة في الصحاح مثلاً، فإن الفرق يبدو جلياً، في طرق نقل هذه المرويات، وكذا في درجتها من حيث الصحة أو الضعف.

ولعل ما يتوخاه المحدث من استنباط الأحكام بمختلف أنواعها العقدية أو العملية هو الذي حمل على هذا الانضباط المثالي، أما المؤرخ الذي صرف اهتمامه إلى نقل وتصوير الأحداث من خلال نصّ تاريخي مكتمل التفاصيل متسلسل السياق محكوم ببداية ونهاية في ضوء ما هو متاح من مادة تاريخية؛ فإنه رأى أنه يسعه التخفف من هذه الضوابط الصارمة، حتى يتمكن من بناء النص التاريخي المكتمل.

وقد يبدو هنا سبب آخر يستفاد من تجربة الواقدي الذي قدّم يوماً لتلامذته نصّاً تاريخياً مكتملاً لغزوة أحد من غير أن يسوق إسناداً، وإنما جمعه من عدد من الأسانيد، فلما طالبه تلامذته بالأسانيد جاءهم بها في عشرين جلد وفي رواية في مائة جلد، فطلبوا عندئذ أن يردّهم إلى الأمر الأول، أي: الرواية، حسب منهج ما يسمى بـ«الإسناد الجمعي».

ولا يمنع هذا من القول بأن هذا المنهج أنكره أئمة الحديث على الواقدي وغيره وعدّوه تلفيقاً متقدماً بين الروايات^(١).

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي، ط ١، (٣/١٥-١٦)، فتح الباري، لابن حجر (٨/٤٥٦).

ومرةً أخرى فإن عددًا من المؤرخين قد اعتنى بقواعد المحدثين في نقد الإسناد والمتن معًا، فهذا ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في البداية والنهاية يعتني بنقد الأسانيد والمتون معًا، فلا يورد ما يخالف هذا المنهج إلا إذا بين أنها من حكايات ابن إسحاق أو غيره، فإن كان فيها نكارة أو مخالفة للمشهور يبين أو استنكر، لا سيما في قسم السيرة النبوية من كتابه، ومن أمثلة ذلك تعليقه على حديث سعد بن أبي وقاص عندما سأله ابنه أكان أبو بكر أول الصحابة إسلامًا؟ فأخبره أنه قد أسلم قبله أكثر من خمسين... قال ابن كثير: «فإنه حديث منكرٌ إسنادًا ومتنًا»^(١).

وتناول ما ذكره ابن إسحاق وغيره في مؤاخاة النبي ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «... وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها، وركعة بعض متونها»^(٢). كما عني بالجمع والتوفيق بين الروايات والترجيح بينها عند الاقتضاء وفقًا لقواعد المحدثين.

لكن نقاط المؤاخاة والضعف قد ظهرت عند أكثر المصنفين الذين لم يعنوا بقواعد النقد في الرواية والدراية. ويمكن تلخيص ذلك إجمالاً فيما يلي:

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٣٩).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٥٠).

١ - عدم التزام الرواية المقبولة :

وهذا ظاهر في مصادر السيرة حاشا كتب السنة الصحيحة بعد القرآن الكريم، فإن مؤلفي السيرة والمغازي وأصحاب كتب الشئال والدلائل والخصائص النبوية، ومصنفي كتب الطبقات والتراجم وتاريخ المدن والبلدان وغيرها لم يلتزم عامتهم الرواية المقبولة؛ إنما اجتمعت الروايات الصحيحة والحسنة إلى جانب الضعيفة والموضوعة أحياناً؛ بل وجدنا أحياناً القصص الأسطوري في أخبار ما قبل الإسلام، وما تزامن مع أيامه الأولى، وأغلب القصص التي أوردها ابن إسحاق لم يسندوها وبعضها رواها عن محمد بن كعب القرظي، وبعضها أسندها إلى أهل الكتاب^(١).

وقد عرفت الروايات الإسرائيلية في بعض كتب السيرة والمغازي، وأقدم من عرف بذلك وهب بن منبه (ت: ١١٤هـ)، وأغلب رواياته عن كعب الأحبار (ت: ٣٢هـ) وعبد الله بن سلام (ت: ٤٤هـ) وهي وإن وردت في كتب السيرة إلا أنها لا تتعلق إلا بأحداث ما قبل الإسلام من أخبار اليهودية والنصرانية ونحوها.

كما أخذ عليهم إرسال الأسانيد ورواية الأحاديث الشاذة والمنكرة والرواية عن المبهمين، والرواية عن أهل الأهواء والبدع؛ بل لقد اتهم بعض كتاب السيرة بشيء من هذا، فقد اتهم وهب بن منبه بالقدر^(٢)

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، حققها وعلق حواشيها محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، (١/ ٣١-٣٤).

(٢) تهذيب الكمال، للمزي، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، (٣١/ ١٤٧).

وهشام بن محمد بن السائب الكلبي اتهم وأبوه بالتشيع والرفض والغلو فيه^(١)، والمسعودي بالاعتزال والتشيع^(٢).

وقد قدمنا أن الحامل على قبول هذا المنهج هو الرغبة في تقديم نصٍّ تاريخي مكتمل.

وقد أعرب عن هذا بعض مؤلفي السيرة فهذا الكافيجي (ت: ٨٧٩هـ) يقول: «...فإن قلت: هل يجوز أن يروي في تاريخه قولاً ضعيفاً؟ قلت: نعم يجوز له ذلك في باب الترغيب والترهيب، مع التنبيه على ضعفه، ولكن لا يجوز ذلك في ذات الباري، وفي صفاته، ولا في الأحكام»^(٣).

وهذا النهج ملحوظٌ عن ثقات المؤرخين مثل: ابن إسحاق، وخليفة بن خياط، والطبري، حيث يكثرون من الأخبار المرسلة والمنقطعة، كما أن الطبري يكثّر النقل عن رواية في غاية الضعف، مثل: هشام بن الكلبي، وسيف بن عمر التميمي، ونصر بن مزاحم، وغيرهم^(٤).

(١) كتاب المجروحين لابن حبان، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، (٣/٩١)، ميزان الاعتدال (٤/٣٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ، (١٥/٥٦٩)، تاريخ بغداد (١٣/٢٨٢).

(٣) المختصر في علم التاريخ، ضمن كتاب (روزنثال): علم التاريخ عند المسلمين (ص ٣٣٧).

(٤) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، ط ٦، ١٤١٥هـ، (١/٣٩).

وإذا كان لنا في السيرة النبوية أن نتروى في قبول تلك المرويات الضعيفة لكثرة ما ثبت من الصحيح والحسن وما يقاربه؛ فإن هذا قد لا يتأتى في أحداث التاريخ الإسلامي وحقه المتسالية.

وعليه فلا مناص من مرونة منهجية للتعامل مع تلك الأخبار والآثار فحيث تعلقت بعقيدة أو شريعة فلا يصلح إلا المنهج الحازم المكتمل في التوثيق والنقد، وحيث لم تتعلق بشيء من ذلك، وكانت بحيث تسدُّ ثغرة في التفاصيل التاريخية، أو تكمل سياق الأحداث، من غير أن تتعارض مع نص محكم أو حقيقة ثابتة فلا حرج عندئذٍ، وهذا مما قد يدخل تحت ما يقبله أهل الحديث حالاً أو مقالاً، فعلى صعيد المقال:

يقول عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٧هـ): «إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال»^(١).

وقال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): «أحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها، حتى يجيئ شيء فيه حكم»^(٢).

وقال في رواية عباس الدوري عنه: «ابن إسحاق تكتب عنه هذه الأحاديث، يعني المغازي ونحوها، وإذا جاء الحلال والحرام

(١) فتح المغيث، (٢/١٥٢).

(٢) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، الخطيب البغدادي، ت: إبراهيم بن مصطفى آل بجبح، دار الهدى، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (١/٣٩٩).

أردنا قومًا هكذا، وقبض أصابع يده الأربعة»^(١).

وعلق ابن سيد الناس على رواية ضعيفة في هجرة المسلمين إلى الحبشة، فقال: «والذي عندنا في هذا الخبر أنه جارٍ مجرى ما يذكر في هذا الباب من المغازي والسير، والذي ذهب إليه الكثير من أهل العلم الترخص في الرقائق، وما لا حكم فيه من أخبار المغازي، وما يجري مجرى ذلك، وأنه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام؛ لعدم تعلقه بالأحكام»^(٢).

وعلى صعيد الحال والممارسة أيضًا نجد ابن حجر يعلق على رواية لأنس بن مالك في بيان أن النبي ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث^(٣)، فيقول: «... ولم أقف على تسمية هؤلاء جميعهم؛ بل سيأتي تسمية بعضهم، ويمكن إكمالهم بما سرده ابن إسحاق من أسماء من قتل من الكفار ببدر...»^(٤).

وإذا ما رجعنا إلى رواية ابن إسحاق التي وردت فيها أسماءهم نلاحظ أنه أوردها بدون إسناد^(٥).

(١) نفس المصدر (ص ١١٧).

(٢) عيون الأثر، لابن سيد الناس، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (١/١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٧).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٧/٣٠٢).

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٣٥٥).

وكذا تعامل ابن حجر مع الواقدي في بعض رواياته التي من هذا القبيل مع قوله عنه: «...وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف»^(١).

وعليه فالأصل اعتماد القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وما يقرب منها فحسب، فإن تعلقت الرواية الضعيفة بحثاً على مكارم أخلاق، أو وصفٍ لعمرانٍ أو حديثٍ عن صناعةٍ أو زراعةٍ، أو عدٍّ لأسماءٍ أو ما شاكل ذلك فلا بأس من إيرادها كتكملةٍ للسياق التاريخي.

٢- اعتماد بعض نصوص الكتب السماوية المحرفة وكتب الأمم السابقة :

ويعتبر وهب بن منبه أول من اقتبس في كتاباته مقاطع من الكتب السماوية السابقة، فقد روى قطعاً من العهد القديم، وقطعاً من المزامير، وأغلب مروياته في قصص الأنبياء وأخبار بني إسرائيل منقولة عن التوراة كما أن معلوماته عن المسيح وميلاده، وتفاصيل حياته، إنما أخذها من الإنجيل والكتب السابقة.

وقد نقل ابن إسحاق فقرات من العهدين القديم والجديد مترجمة حرفية، كما أورد ابن هشام نصاً كاملاً لابن إسحاق من إنجيل يوحنا.

وقد رجع ابن قتيبة واليعقوبي إلى نصوص التوراة والإنجيل

(١) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٤٧٢).

التي تتعلق ببدء الخليقة على الخصوص^(١).

وهذه النصوص والنقول تنزّل منزلة الإسرائيليات في التعامل معها، يقول ابن كثير: «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذلك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل؛ فلا نؤمن به، ولا نكذبه، ولا تجوز حكايته لما تقدم^(٢).

وعن هذا الأخذ والاعتباس قال شيخ الإسلام ابن تيمية؟: «فأما مجرد الرجوع إلى قولهم، أو إلى ما في كتبهم فلا يجوز بالاتفاق، والنبي ﷺ وإن كان قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة، فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم؛ بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما يصدقون، كما أخبره بكذبهم غير ما مرة، أما نحن فلا نؤمن أن يحدثونا بالكذب»^(٣).

(١) مصادر السيرة النبوية، عبد الرزاق هرماس، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، (ص ٢٧٧-٢٨٠).

(٢) تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (١/ ٣١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٩هـ، (ص ١٧٢).

ونحو هذا المعنى منقول عن ابن العربي في «العواصم من القواصم»^(١).

وأما ما يتعلق بكتب الأمم الأخرى والتي دخلت على مصادر المؤرخين فمثالها كتب تواريخ الأمم المجاورة للجزيرة العربية، مثل: فارس والروم والحبشة والهند ونحوها، وهذا المصدر لا يتعلق بالسيرة النبوية وأحداثها من قريب.

(١) العواصم من القواصم، لابن العربي (ص ٢٦٠).

المبحث الثالث :

نماذج من الخلل في جانب تفسير الحوادث والحكم عليها

عرضنا فيما سبق أن بعض رواة السيرة وكتابها قد اهتموا في عدالتهم وسلامة معتقدهم، ووجد من هؤلاء من اهتم بالشعوبية والرفض والاعتزال والزندقة.

وعلاوة على ذلك فقد أورد كثير من كتّاب السيرة في بطون كتبهم روايات لأولئك المجروحين والمتهمين مكتفين باشتهار حالهم عن بيان علل مروياتهم.

ولا شك أن كثيرًا من أصحاب الأهواء ممن كتب في السيرة ظهر أثر بدعتهم في كتبهم، وأظهروا ما يخدم غرضهم، وانتفع بذلك المستشرقون وأذئابهم ممن لم يحسنوا فهم الإسلام ولم ينطلقوا من أصوله وقواعده، ومن هنا جاءت كتابات المستشرقين ومن تأثر بهم قاصرة عن فهم دوافع السلوك عند المسلمين في صدر الإسلام.

«إن أعظم قصور يواجه الدراسات الاستشراقية هو عجزها عن التصور السليم للإسلام وروحه وآثاره في المجتمع الإسلامي وحركته التاريخية، وهو قصور كبير يمنع إمكان الاعتماد على هذه الدراسات خاصة في عصر السيرة والراشدين، حيث تتطابق النظرية الإسلامية مع الواقع التاريخي»^(١).

ولا شك أن هذا العجز عن الإدراك الصحيح كان مصحوبًا بحقدٍ

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/ ٣٥-٣٦).

دفين، وتحيز أثيم، وعداوة قديمة، كل ذلك ظاهر فيما كتبه كثير منهم عن النبي ﷺ ذاته.

فهذا المستشرق «دوزي» يزعم: أن محمداً ﷺ -وحاشاه- كان سوداوي المزاج، يلتزم الصمت، ويميل إلى العزلة الطويلة^(١).

والمستشرق الفرنسي «كيمون» يقول في كتابه «باثولوجيا الإسلام»: إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً؛ بل هي مرض مربع، وشلل عام، وجنون ذهولي، يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمر، ويجمع في القبائح^(٢).

أما «بارتلمي دير بيلو» الذي يعد من أعلام المستشرقين في القرن السابع عشر الميلادي فيقول عن الرسول ﷺ: «هذا هو المتحلل الشهير «ماهومت» المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، ونسميها نحن الماهومتية»^(٣).

والناظر في «تاريخ الشعوب الإسلامية» لشيخ المستشرقين الألمان «كارل بروكلمان» (ولد سنة ١٨٦٨ م) يجده ينطلق من أصل فاسد وهو إنكار نبوته ﷺ والطعن في القرآن الكريم.

«وقصارى القول: يرى «بروكلمان» أن كل شيء في دين الإسلام

(١) سيرة سيد المرسلين، لمحمد الحسيني (١/ ٢٥).

(٢) دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور بن نايف، دار الأرقم، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (ص ١٢٣).

(٣) الاستشراق، لإدوارد سعيد (ص ٩٤٢).

اقتبسه محمد ﷺ من الأمم الأخرى، وينكر أشد الإنكار أن يكون الله ﷻ قد أنزل كتاباً، وشرع أحكاماً، وبعث رسولاً من العرب! ^(١).

وليس هذا بمستغرب منهم، وإنما الغريب أن يكون هذا موقفهم مع التشدق بالأمانة العلمية وغيرها من الشعارات!!
وعجيب أمرهم يؤمنون بخرافات التثليث وغيرها، والتي يمنعها العقل ولا تصح في النقل عن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، ثم يذكرون أن حادثة شق الصدر أو الإسراء أو الوحي ما هي إلا خرافات وأساطير!!!

وإذا كان للمستشرقين اليهود والنصارى ما يحملهم على هذا الالتواء المنهجي فإن العجب لا ينقضي من أبناء جلدتنا الذين ينطقون بألسنتنا حين يتابعون المستشرقين في فراههم من غير برهان ويسيروا خلفهم كالعُميان، ويرددون كلامهم كالبعغاوات.

وفيا كتبه دعاة التغريب من تلامذة المستشرقين سواء من النصارى العرب ^(٢) أو من المتسبين للإسلام ^(٣) أمثلة ظاهرة، من كتابات عن

(١) دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور (ص ١٣٣).

(٢) من أمثال اللبناني: الخوري يوسف إلياس حداد في كتابه «دروس قرآنية»، والمصري: نظمي لوقا في كتابه «محمد الرسالة والرسول»، واللبناني: جرجي زيدان في كتبه: «تاريخ التمدن الإسلامي»، و«العرب قبل الإسلام»، و«تاريخ آداب اللغة العربية».

(٣) من أمثال: طه حسين في كتابه: «الشعر الجاهلي»، و«على هامش السيرة»، و«الشيخان».

صاحب السيرة عليه السلام ظالمة وتفسيرات لأحداث السيرة مضللة؛ ومن ذلك: قول الخوري في كتابه «دروس قرآنية»:

«إن الدعوة المحمدية كانت في العهد المكي كتابية إنجيلية توراثية مسيحية يهودية، ... وإنه [أي: القرآن] كتاب توراثي إنجيلي يهودي نصراني في موضوعه ومصادره وقصصه وجدله...».

«إن لفظه -أي القرآن- هو لفظ محمد ونظمه، وليس لفظ الوحي وبالتالي، فإن إعجاز نظمته قائم على النبي لا على الوحي!...»^(١).

وجرجي زيدان يفسر الغزوات والفتوحات الإسلامية في دوافعها تفسيراً مادياً يركز على حاجة المسلمين إلى خيرات فارس والروم ومصر؛ لأن الجزيرة قاحلة، ولا تفي بمطالب سكانها وحاجاتهم الضرورية^(٢).

ويعزو انتصار المسلمين على المشركين إلى دفع اليهود للأوس والخزرج كي يسلموا فيواجهوا مشركي مكة لتسقط الأصنام!!^(٣)

ويعزو انتصارات المسلمين على فارس والروم إلى وقوف اليهود إلى جانب المسلمين الفاتحين ضد الرومان الذين كانوا يظلمون اليهود!! وأن المسلمين ما كانوا ليفتحوا هاتين المملكتين لولا تضعضع الحال

(١) دراسات قرآنية للخوري، نقلاً عن دراسات في السيرة النبوية لمحمد سرور (ص ١٨٦-١٨٧).

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان، مكتبة الحياة بيروت، ط ٢، (١/ ٦٦).

(٣) تاريخ التمدن، لجرجي زيدان (١/ ٤٠).

فيهما وتسرب الضعف إليهما^(١).

متناسياً مقالة ربعي بن عامر في هدف الجهاد الإسلامي، والكثرة الكاثرة من الآيات والأحاديث في هذا الصدد، وأن الفتوحات الإسلامية لبلاد الروم وفارس استشهد فيها نحو من خمسين ألفاً من المسلمين واستمرت لأكثر من عشر سنين، وقتل فيها عدد من قواد المسلمين، وأن النصر جاء بعد معارك طاحنة على أرض فارس والشام وأن المسلمين كانوا الأقل عدداً في جميع تلك المعارك!!

وأما ما كتبه ربائب التغريب وصنائع الاستشراق مما يتعلق بالسيرة وصاحبها ﷺ فإنه يقطر خبثاً وتدميراً لا هدايةً وتجديداً!

فكثير مما كتب طه حسين إنما هو ترديد لما كتبه المستشرق «مرجليوث» وذلك بدءاً من إنكار صحة الشعر الجاهلي^(٢).

«وعقد د. محمد البهي رحمه الله بحثاً قيماً في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» قارن فيه بين كتاب «الشعر الجاهلي» لطه حسين، وكتاب «المذهب المحمدي» للمستشرق «جب» .. وانتهى من مقارنته العلمية إلى أن الأهداف والنتائج واحدة عند الكاتبين، و«جب» سبق طه بنشر هذه الآراء^(٣).

وهو حين يكتب كتابه «على هامش السيرة» يضع من لبنات منهجه

(١) تاريخ التمدن، لرجي زيدان (١/٧٣).

(٢) كان ذلك عام ١٩٢٤م في بحث نشره في مجلة الجمعية الآسيوية، قبل عام من بدء طه حسين لمحاضراته في الجامعة.

(٣) دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور (ص ٢٢٥).

الكذب واختلاق القصص والأخبار، فيقول: «وأحب أن يعلم الناس أيضاً أنني وسعت على نفسي في القصص، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار، واختراع الحديث!».

وإذا استجاز لنفسه أن يخلق الكذب في هذا الكتاب، فإنه أباح لها في «الشعر الجاهلي» أن يكذب بالحقائق، حين زعم أن القرآن من عند محمد ﷺ، أو أن قصص الأنبياء -وعلى رأسهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في القرآن- لا تتجاوز أن تكون أسطورة من الأساطير!!

وعلى هذا النسق من اختلاق الكذب، والتكذيب بالصدق، والتشكيك في الحق، سار طه حسين في كتابه «الشيخان»، وعلى منوال المتغربة نسج اليساريون المصريون كمحمد أحمد خلف الله^(١) وعبد الرحمن الشرقاوي^(٢).

ويتوقف قطار الرصد والأمثلة عند المدرسة الإصلاحية ومن تأثر بها من الكتاب والأدباء والدعاة؛ فالشيخ محمد الخضري -مثلاً- كتب قبل أن يتصل بالمدرسة الإصلاحية كتاب «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» أثبت فيه المعجزات والآيات الصحيحة كشق صدره ج، والإسراء، وقصة بحيرا الراهب، وغيرها.

(١) د. محمد أحمد خلف الله، كان «أميناً عاماً لحزب التجمع اليساري المصري»، وكتابه المقصود «محمد والقوى المضادة»، أصدره عام ١٩٤٢ م.

(٢) كان رئيساً لتحرير مجلة روز اليوسف، وأحد وجوه اليساريين المصريين، وكتابه المقصود «محمد رسول الحرية».

فلما اتصل بالمدرسة الإصلاحية وألف كتابه «محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية» لم يتعرض لشيء من تلك المعجزات، وشكك بقصة بحيرا، وذهب إلى أن الإسراء كان بالروح دون الجسد، وخالف رأيه الأول في الإسراء، وهكذا سار د. محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد»، وأيده الشيخ مصطفى المراغي في إنكار تلك المعجزات إلا القرآن، وظاهر على ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي».

فحادثة الفيل وما كان فيها ما هو إلا وباء الجدري الذي أصاب الجيش وحادثة شق الصدر مرفوضة مع كونها في صحيح مسلم؛ لأن الخبر لا يسيغه عقل، وقصة سراقه في حقوقه بالنبي ﷺ في طريق هجرته ترجع إلى كبوة جواد وحالة نفسية عند ذلك الرجل. وبمثل هذه الحجج الواهية يقدم العقل الموهوم على النقل المعصوم، وتؤول المعجزات الحسية، وتُردّ الآيات والأحاديث الصحيحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وروايات السيرة.

الفصل الثالث

مقاصد تجديد عرض السيرة

تمهيد :

إن سيرة النبي ﷺ كحديثه الشريف، صنوان لا يفترقان في الحفظ والصون، وفي العناية بهما والرعاية لهما، قيص الله لهما أعلامًا كبارًا، فقاموا بحقهما وأدوا الذي عليهم الله فيهما.

ثم إنه قد امتدت أيدي منحرقة الأخباريين والقصاص والمؤرخين إلى السيرة، وتبعهم مستشرقون ومستغربون فحاولوا التشكيك في قيمتها والنيل من موثوقيتها، وإساءة تأويل أحداثها ومواقفها، فكان حقًا على أهل الإسلام في كل عصر ومصر أن ينفوا عنها الدخيل وأن يحتفوا منها بالأصيل، وأن يحرصوا جمالها وبهاءها أن يمتد إليهما عبث العابثين، أو تطالها نزوات المنحرفين.

كما يتعين على أربابها الغيورين أن يحسنوا تقديمها وعرضها من معينها الصافي ونبعها الوافي اعتمادًا على نصوص الوحيين، وإظهارًا لوجه السيرة الحضاري البهي، وتأكيدًا على التصور الإسلامي الصحيح للحياة والأحياء، وتنبيهًا على السنن الربانية الجارية في المجتمعات، وتربيةً على صالح القدوة وكريم الأسوة في سيرة خير الخلق وحييب الحق ج.

وذلك كله لا بد له من مقاصد توجهه، وقواعد تحكمه، ومعالم تحدده، وفيما يلي بيان لأهم تلك المقاصد والمعالم، والتي تمثل بمجموعها سياق التجديد الجديد.

المبحث الأول :

التأكيد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة

إن دراسة السيرة النبوية -على صاحبها أزكى الصلاة والتحية- تؤكد على الثوابت الإيمانية والأصول العقدية، وذلك بدءاً من الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر التصورات الإسلامية الصحيحة، مروراً بالجانب العملي في العقيدة من اليقين بالله وتوكل عليه، وحسن الظن به، والرغبة فيما عنده، والثقة في وعده، وعظيم محبته، والرجاء في موعوده، في تحصيل مرضاته، وانتهاءً بآثار الالتزام بالعقيدة الصحيحة من حصول النصر والتمكين، وكثرة الخيرات، وتتابع البركات، وانتشار الأمن في الأنفس والمجتمعات، ذلك أن الارتكاز على المحور العقدي، والتذكير به في كل مناسبة من مناسبات السيرة، وربط الحوادث به والانطلاق من قاعدته ومقتضياته؛ هو أسلوب القرآن الكريم، وهو منهجه في عرض تاريخ الأنبياء عليهم السلام أجمعين.

والتأكيد على أصول العقيدة يبرز الوحدة الإسلامية الجامعة بمعناها العام الذي يشمل الأولين والآخرين، ويتنظم جميع النبيين وأتباع المرسلين؛ إذ الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله من أحد سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فلا غنى عن التأكيد من خلال السيرة النبوية -مقارنة بسير أنبياء الله تعالى- على وحدة الأمة المسلمة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وهذا المفهوم لوحدة الأمة الإسلامية يتبعه وحدة التاريخ الإسلامي على مرّ العصور وكرّ الدهور، كما يتبعه أيضًا وحدة الحضارة الإسلامية في أطرها ومفاهيمها العامة.

ومن مقاصد التجديد في دراسة السيرة: ملاحظة هذه الرابطة المشتركة بين المؤمنين بالله على مرّ العصور؛ إذ المؤمنون بالله يصدرون جميعًا من مشكاة واحدة، ويتلقون جميعًا عن رب واحد، ويدعون إلى عقيدة واحدة، ورسالة واحدة في قواعدها وأصولها، وكفى بذلك رابطة سامية بين المؤمنين، تسمو بهم فوق الروابط الضعيفة من القومية، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو اللغة، أو غيرها.

ومن الحقائق المقصودة -لدى دراسة السيرة- تأكيدها أيضًا: أن الأمة المسلمة هي صاحبة الخيرية الكاملة، وهي المؤثرة والفعالة في تاريخ البشرية بتمثلها الاستقامة منهجًا، والعدل مسلکًا؛ لذا فهي الشاهدة على الخلائق جميعًا، وهي الأمة الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهي بذلك خير أمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

المبحث الثاني:

العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية

تزخر السيرة بتطبيقات حية وأمثلة واقعية لقضايا تتعلق برعاية المقاصد الشرعية والحكم التشريعية، والغايات الكلية، وهي بهذا الاعتبار تمثل معيناً ثرياً للتمثيل والتفريع في علم الأصول والمقاصد الشرعية، وهما علمان غلب عليهما التقعيد والتأصيل مع ندرة في التمثيل؛ فلا غرو أن كان من مقاصد الدراسة المعاصرة للسيرة النبوية أن تُقرأ قراءة أصولية استنباطية تثري العلوم النظرية بتطبيقها على القضايا والمسائل الواقعية.

والمطالع لكتب الأصول يرى على سبيل المثال تحريم النبذ بالقياس على الخمر بجامع الإسكار في كلِّ، في حين أنه يمكن أن تستقى أمثلة تقرب المعنى وتسهل التطبيق، وتحقق التجديد في عرض السيرة النبوية، ومن ذلك في باب القياس: ما ورد من أن النبي ﷺ أعطى بعض من كان مؤثراً في تحصيل النصر يوم بدر مع أنه لم يشهد المعركة لسبب أو لآخر، فأعطى ﷺ من الغنيمة لبعض من لم يحضر الواقعة قياساً على من حضر بجامع التسبب في تحصيل النصر، فقد أعطى أبا لبابة الأنصاري وكان مخلصاً على أهل المدينة، والحارث بن حاطب؛ لأن الرسول ﷺ خلفه على بني عمرو بن عوف لتحقيق أمرٍ بلغه، والحارث بن الصمة وخوات بن جبير؛ لأنها كسرا بالروحاء فلم يتمكننا من المسير، وطلحة بن عبيدالله

وسعيد بن زيد؛ لأنهما أرسلتا يتحسسان الأخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب، وعاصم بن عدي؛ لأنه خلفه على أهل قباء^(١).

والسيرة النبوية تزخر برعاية المآلات والنظر إليها لدى التصرفات، بحيث تأخذ الأفعال أحكامًا تتفق مع ما تؤول إليه، فإذا كان الفعل يؤدي إلى أمر مرغوب فهو مطلوب، وإن كان يؤدي إلى شرٍّ أو محذور فهو منهي عنه.

ولا شك أن الحكمة النبوية في التشريع والتصرفات المصطفوية تتجلى بوضوح في السيرة المحمدية، وقد رأينا المصطفى ﷺ يكفّن رأس المنافقين في قميصه ويصلي عليه؛ لما يرجو من المآلات المحمودة باستمالة أهله وأتباعه، والمستظلين بلواء زعامته^(٢)، ومن قبل كفّ النبي ﷺ عن قتله وأمثاله من رؤوس النفاق؛ لئلا يتول الأمر إلى الصد عن سبيل الله إذا قال من لا يدري: إن محمدًا يقتل أصحابه!

ولما تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث وجعل مهرها عتقها قال الناس لسباياهم من بني المصطلق: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم.

حتى قالت عائشة رضي الله عنها: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٩٥).

(٢) فتح الباري (٨/ ٣٣٨)، نظرات في فقه الفاروق عمر، للشيخ محمد محمد المدني، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٢، (ص ٥٥-٦٦).

أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها
بركة منها^(١).

فكان في زواجه ﷺ من جويرية من جميل المآلات ما يحسن بدارس
السيرة والمجدد في عرضها أن يتوخى إبرازه وإظهاره، ليكون معلماً يهدي
للتّي هي أحسن^(٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٧٧/٦)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٤٠٤٥)،
(٤٠٥٥)، والحاكم في المستدرک (٢٧/٤).

(٢) للتوسع يراجع بحث: محاور وعناصر التجديد في عرض السيرة النبوية، د. خالد
حنفي، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثاني لمنظمة النصر العالمية ٤-٦ ذو القعدة
١٤٢٩هـ (١٣٩-١١٧).

المبحث الثالث:

التربية بالقدوة على مائدة السيرة النبوية

التربية والتزكية هي طريق الأنبياء والمصلحين، وقد قال تعالى: ﴿فَبِهْدْيُهُمُ آفَاقَهُ﴾ [الأَنْعَامُ: ٩٠]، والتربية سبيل خاتم النبيين ﷺ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

والتربية بالقدوة هي التي تحوّل العقيدة المستكنة في الضمائر يقيناً إلى حقيقة سلوكية في الواقع.

ولا قدوة كالنبي ﷺ في سيرته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإبراز جانب القدوة في السيرة النبوية من أهم ما تتجه إليه جهود التجديد عند التربويين والدعاة الربانيين.

ذلك أن التربية بالقدوة أسهل وأسرع وأعمق أثراً في النفس البشرية، وقد أمر الله تعالى وأمر النبي ﷺ بالافتداء به في شأنه كله إلا ما اختص به من خصوصيات، فقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١)، وقال أيضاً: «لتأخذوا مناسككم»^(٢).

ولعظيم رتبة الاقتداء، ولجليل منزلته، لم يمنحها النبي ﷺ إلا لاثنتين من أمته بعده فقال ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر

(١) أخرجه البخاري (٦٣١)، وهذا لفظه، ومسلم (٦٧٤)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

وعمر»^(١)، أما الخلفاء الأربعة فاتبعت سنتهم.

ولقد عنيت دراسات قديمة وحديثة بجانب القدوة من حياته ﷺ، ولعل من أشهر ما كتب في القديم: «زاد المعاد في هدي خير العباد» الذي يعتبر موسوعةً فقهيةً تربويةً في السيرة النبوية تُعنى بهديه ﷺ لمريد الاقتداء به من بعده.

وفي الحديث وجدت كتب كثيرة تعنى بسيرته ﷺ داعياً، وسيرته معلماً، وسيرته زوجاً وأباً، ومن ذلك:

- النبي الكريم ﷺ معلماً للدكتور فضل إلهي.
- النبي ﷺ زوجاً لنشأت شوقي.
- النبي ﷺ مبشراً لنشأت شوقي.
- مواقف ضحك فيها الرسول والصحابة لمجدي الشهاوي.
- مواقف بكى فيها الرسول والصحابة لمجدي الشهاوي.
- وغيرها من الكتب كثير.

وعليه فإن المسؤولية على دعاة التمكين لهذا الدين كبيرة، والأمانة عظيمة، في أن يتربى الشباب على سيرة النبي ﷺ، وأن ينهلوا من معينها القدوة، وأن تطرح السيرة بهذا الوصف الجديد القديم في آنٍ واحد.

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧)، من حديث حذيفة بن البيان رضي الله عنهما.

المبحث الرابع:

إحياء فقه السنن الربانية

السنن الربانية هي نواميس مطردة في هذا الخلق لا تحول ولا تزول، قال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

والسنن الربانية جارية أو خارقة، والجارية إما متعلقة بالكون أو بالمجتمعات وكلتاها ثابتة لا تتغير، مستقرة لا تتبدل؛ لأن الحق سبحانه لا يفرق بين متماثلين، ولا يخالف بين متناظرين، ولا يجمع بين مفترقين، قال سبحانه: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِيمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]. والدعاة الذين يبحثون عن نصره هذا الدين عليهم أن يتعاملوا بسنن الله الجارية، وألا يتطلعوا لسنن الله الخارقة، فإن النبي ﷺ في سيرته إنما نصر بسنن الله الجارية قبل الخارقة.

والحق أن كثيرًا من الدراسات القديمة والحديثة للسيرة النبوية لم تعتن بجانب السنة الاجتماعية الجارية، ولم تحاول أن تعرض السيرة النبوية من منظور سنني، ولا حتى من منطلق اجتماعي.

«ويكفي أن القارئ لدراسة حديثة في السيرة لا يكاد يحس فرقًا مهمًا بينها وبين كتاب سيرة ابن هشام أو زاد المعاد على تباين أسلوب ومنهج الكتّابين، رغم التطور الهائل في الدراسات

الاجتماعية في العصر الحديث، وما تقدمه العلوم الحديثة من معطيات ضخمة تخدم الدراسات الاجتماعية»^(١).

ولا حرج في أن نقول: إن من أهم مقاصد التجديد في السيرة النبوية: تقديم دراسات اجتماعية من خلال السيرة النبوية، تقوم على دراسة السنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حياة البشر، وتؤثر في مجريات الحياة، وتحفز حركة التاريخ، وليس هذا المنحى بجديد على المسلمين، فإن القرآن الكريم قد امتلأت سوره بإشارات متعددة لتلك القوانين.

ولا شك أننا بحاجة إلى من يحاول إعادة صياغة النظرة القرآنية لأحداث السيرة، وتقديم الوقائع والتطبيقات في سياقها السنني، وتكوين نظريات اجتماعية كلية تفيد حركة الدعوة ومنهج الإصلاح، وتعنى بعمق النظرة، والشمول في الرؤية، والوضوح في التصور الإسلامي لحركة المجتمعات والتاريخ معاً، وإدراك دور الفرد والجماعة، والربط بين الأسباب والنتائج.

• إن السيرة بحاجة إلى دراسة سننية اجتماعية تجديدية تقف مع سنن الله في الأنفس والمجتمعات، وتستجلي البرهان من سيرة خير ولد عدنان ﷺ تقوم على التذكير بدور الإنسان في نشر الخير، ومسئوليته عن مدافعة الشر، وتربط الجهد بالنتيجة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/ ١٤).

• وهي دراسة تشير إلى أن الأيام دول بين الناس، تتقلب بالمتقين والفجار، من رخاء إلى شدة، ومن بلاء إلى نعمة، وأن الصابرين في الضراء والشاكرين في الرخاء هم المفلحون، ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴿آل عمران: ١٤٠﴾.

• وهي دراسة تحذر من أسباب هلاك الأمم وزوال الدول، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

• وهي دراسة تعلم أن الزمن له دوره وأثره في حل المشكلات وإنهاء الأزمات، وأن لكل أمة أجلاً، ولكل أجل كتاب، ﴿وَتِلْكَ الْأَقْرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

• وأن قدر الله الغالب الذي لا يغالب هو النصر والتمكين للمؤمنين بعد الابتلاء المبين، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهُ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

• وهي دراسة تنبه إلى أن التدافع بين الخير والشر والحق والباطل سنة جارية، وهذا التدافع يراد منه تحقيق الخير للبشر كافة، فالصراع

المحمود هو الذي ينهي الفتنة بكل صورها وأشكالها، ويحرر البشر من عبادة العباد ويخرجهم من الظلمات إلى النور، قال سبحانه: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

المبحث الخامس :

الإفادة من الجوانب الحضارية في السيرة

تعتبر حضارة كل أمة من الأمم عن إسهامها في مجال الأفكار والثقافات، وإنتاجها في مجال الاكتشافات والصناعات، فهما بمثابة الجناحين للطائر.

وإن السيرة النبوية هي ديوان الحضارة الإسلامية الراقية في أبهى العصور وأزاهها، حيث يتجلى أثر الإسلام في حياة البشرية حين هدم جاهليتها وبني حضارتها، وغير من أفكارها وعقائدها ونظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأقام بنيان الحضارة الإسلامية على التوحيد والحق، وشيد دعائمها على العدل والقسط، ورعى حقوق الإنسان على أكمل ما يتاح لبشر أن يصل إليه.

ولا يخفى على مطلع أهمية إبراز الجانب الحضاري في سيرة المصطفى ﷺ وفي الشريعة الغراء ولا سيما في بلاد غير المسلمين، حيث يقدم الحلول الناجعة لمشكلاتهم المعقدة.

وعليه فإن تجلية جوانب الرحمة بالمخالف، والتسامح مع الأعداء، والرفق بالصغير والجاهل والعامي في سيرة النبي ﷺ من شأنه أن يؤلف القلوب على الإسلام ويكشف عن سماحته للقاصي والداني. وفي إيضاح جوانب تكريم الإسلام ونبيه ﷺ للمرأة أمًا وبتًا وأختًا وزوجًا ما يدفع كثيرًا من الشبهات التي تثار حول المرأة وحقوقها في الإسلام.

إضافة لما سبق فإنه حين تُتَبَّع مدوّنات السيرة لاستخراج الوجه الحضاري في الحِرَف والصناعات والفنون والعمران والبيئة وحقوق الحيوان؛ فإن كل ذلك يقوم بدور السفارة عن الإسلام ونبيه ﷺ في دعوة المخالفين في أصل الدين، وعلى مستوى الدراسات القديمة في السيرة نرى أن هذا الجانب لم ينل حظه من الرعاية أو التأليف، ويبدو أن أول مصنف عني بهذه المسألة بشكل جزئي هو كتاب «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية» لعلي بن محمد الخزاعي (ت: ٧٨٩هـ)، حيث عني في كتابه ببيان جوانب من النظم الإدارية والعمالات والحرف والصنائع التي مورست في العهد النبوي، والكتاب بهذه المعالجة المهمة يعتبر تأريخاً للسيرة النبوية من منظور حضاري.

والمؤلف لم يكتف بإبراز تلك الجوانب في العهد النبوي فحسب، بل تعدّاها إلى عهد الراشدين.

وقد قسم الخزاعي كتابه إلى عشرة أجزاء: ثمانية منها في العمالات، وواحد في الحرف والصناعات، وباب ختامي، وتوزعت تلك الأجزاء العشرة بين مائة وثمانية وسبعين باباً^(١).

وفي الباب الخاص بالحرف والصناعات وهو الجزء التاسع أمكن

(١) مقدمة كتاب «تخريج الدلالات السمعية» تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٢م، (٥/١).

أن يقدم المصنف تصورًا عن المجتمع الإسلامي في عهد النبوة، وكشف به عن وجود حراك اجتماعي واقتصادي من خلال نوعيات الحرف والصناعات التي مورست في عهد النبوة، ممثلة في عدد من المهن كالحداد، والصباغ، والنساج، والحجام، والخياط والخواص، والبناء، وغير ذلك.

وعلى مستوى الدراسات الحديثة نجد دراسة الدكتور: عون الشريف قاسم بعنوان: «نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ» دراسة في وثائق العهد النبوي، وهي مطبوعة في دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني.

كما تواجهنا دراسة قيمة لمحمد الصادق عرجون بعنوان: «الموسوعة في سماحة الإسلام»، وهي من مطبوعات الدار السعودية للنشر، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.

وكذلك كتاب «العدل والتسامح الإسلامي» للسيد أحمد المخزنجي، نشر رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق، برقم (٦٧).

ومن المؤلفات القيمة في الباب رسالة د. زيد الزيد، والتي بعنوان: «التسامح في الإسلام» حيث عرض للتسامح في السنة والسيرة وبين نماذج من تسامحه ﷺ وأثره المحمود. ولا يزال الباب مفتوحًا لمزيد من الدراسات الحديثة الواعدة.

المبحث السادس :

التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله

إن الواقع الذي عاش فيه صاحب السيرة عليه السلام كان مثلاً للجاهلية في أحلك حقبها وأردأ تجلياتها، وقد رأيناه عليه السلام في سيرته تعرض له من الأحداث الجسام فيتعامل معها بوعي بالغ وبفقه متبصر بالعواقب، فقد رأيناه يكف عن قتل المنافقين لحكمة دعوية بالغة، ووجدناه يترك هدم الكعبة ويترك إقامتها على قواعد إبراهيم عليه السلام الأولى مراعاة لحالة القوم آنذاك، وهو عليه السلام يمضي صلح الحديبية بشروطه التي رأى فيها بعض المسلمين إجحافاً؛ لما يتوخاه من المصلحة البالغة، ويعطي مرة أخرى بعض المؤلفة قلوبهم العطايا العظيمة من الغنائم، ويترك بعض خاصته من الأنصار، ويداري أقواماً لما يرجوه من دفع غوائلهم، ويراعي في العهد المكي حالة القلة والاستضعاف، ويجتهد في العهد المدني لتحقيق واقع التمكين والاستخلاف، وفي كل ذلك دليل من سيرته، وبرهان عملي من طريقته على أهمية معرفة الواقع في الخلق والواجب في الشرع في وقت واحد.

وكاتب السيرة في ثوبها التجديدي عليه أن يتنبه لهذا المقصد الحيوي، والذي ينشئ في دارسها ومتلقيها حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها، وتجميع عناصرها وربطها في محاولة لإدراك الكل، واستيعاب الأحداث، وحسن التنبؤ لما يتوقع، وإدراك لمآلات

الأُمور والتفاعل معها بشكل صحيح، وهذا الوعي يستدعي بحثاً في العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة من الأعداء، والمكائد المرصودة لهذه الأمة، والسبل المشروعة لاستبانة سبيل المجرمين، وحماية الأمة من كيد المبطلين، وكما أن العلم بالخير سبب إلى فعله، فإن العلم بالشر سبب إلى منعه^(١).

والدعاة اليوم -وهم يسعون إلى تبليغ الدين وإظهار بيناته، وإبطال كيد أعدائه- تواجههم من الظروف والوقائع متشابهة الملايسات والدوافع ما يجعلنا نكرر قول العرب في أمثالهم «ما أشبه الليلة بالبارحة»، أو قول الإنجليز: «التاريخ يعيد نفسه»!

ولقد أشار القرآن الكريم إلى تشابه التصرفات عند اتفاق البواعث فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

وقال سبحانه عن تشابه ما جرى بين الرسل وأقوامهم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

ولقد رأينا من خلال السيرة حرصه ﷺ على حسن فهم أصحابه لدين الله تعالى أولاً، وتحقيق العمل به ثانياً، والدخول فيه

(١) معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ط ٣، دار البسر، ١٤٢٩هـ، (ص ٧٧).

جميعاً، وشهدناه ﷺ يحرص على استمرار عملية البلاغ المبين، من غير توقف ولو في أحلك الظروف، ويعمل على توظيف طاقات أصحابه، واستثمار قدراتهم في طريق الدعوة إلى الله كل بما يناسبه، ويعنى بالتدرج في الإصلاح والتغيير، ويتخذ طريق الحكمة، ولا يغتر بالقوة، ويعنى بالإحكام قبل الإقدام، ويرعى الأعراف التي لا تخالف الشرع، ويتنفع بها في دعوته، حتى انتقل من حال الاستضعاف إلى واقع الاستخلاف.

وامتلاك الدعاة من خلال دراسة السيرة لرؤية صحيحة عن مجتمعاتهم ومشكلاتها وأساليب علاجها؛ تحول دون الفوضى والتخبط، وتمكن الدعاة من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، ووضع التخطيط الملائم للوضع القائم، وتصبح المواصلة والاستمرار عملاً ممكنًا، والبلاغ العام بالإسلام، والتمكين لهذا الدين هدفًا متاحًا.

فمن لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الحق، لم يعرف أحكام الله في عبادته، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح!

المبحث السابع:

تعظيم قدر الصحابة ومعرفة فضلهم

خير القرون من وصفهم الله بالخيرية، وزكاهم الله تعالى بالعدالة والوسطية.

قال جل من قائل عليًا يخاطب أصحاب النبي ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد زكاهم النبي ﷺ فقال: «خير أمتي قرني» (١). وإذا كانت كل أمة تفاخر بأبائها ولو كانوا على الباطل كما قص الله تعالى علينا في كتابه من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

فإن الأمة المسلمة لها مع أصحاب نبيها ﷺ موقف آخر،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠) وهذا لفظه، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران

بن حصين رضي الله عنها .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والعجب لا ينقضي من أمة الرافضة قديماً وحديثاً حين تنكّبوا فضائلهم واستباحوا أعراضهم وتجاسروا على تكفيرهم، فجاءت كتبهم في السيرة سوداء سواد قلوبهم وعمائمهم، وجاءت مروياتهم بتراء من الحق والصدق شأن ديانتهم وطريقتهم.

وأهل الحق لا يقولون في الصحابة بعصمتهم، ولا يخوضون فيما وقع بينهم، ويعتقدون أن سوابقهم بالخير سابقة وأن سيئاتهم مكفرة، لما سبق من نصرّة وجهاد يمحو الذنوب، وابتلاء يمحّص القلوب، وعبادة واستقامة وتوبة وإنابة.

وكتب السيرة والتاريخ لدى أهل السنة تقرر هذا المعنى بأوضح عبارة وأصرح إشارة، فهم يمثلون قول المصطفى ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(١).

قال الإمام أحمد؟: «فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفاً ولا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، وهذا لفظه، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

عدلاً، بل حبههم سنة، والدعاء لهم قربة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص»^(١).

فمن مقاصد التجديد المعاصرة: تنقية الكتب المطولة من ذكر أخبار لم تصح فيها شجر بينهم، وحمل ما وقع مما صح على أحسن المحامل، والاعتذار عنهم، والتفريق بين ما كان عن اجتهاد وغيره. ومن مقاصد التجديد في هذا الباب أيضاً: تنقية الكتب الدراسية التي تعرض السيرة والتاريخ لطلبة المدارس في مراحل الدراسة المختلفة مما شابها، لينشأ الناشئة على حب المهاجرين والأنصار؛ ولتبعوهم بإحسان، وتكون القدوة الكاملة في أصحاب النبي ﷺ العدنان.

وفي هذا إعمال للقواعد الشرعية والأصول التربوية، فدرء المفساد مقدم على جلب المصالح، وسد الذرائع المفضية إلى سوء الاعتقاد واجب، والقاعدة: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»^(٢).

وليس في هذا التقرير ما يخالف منهجاً صحيحاً، أو يدعو إلى توهين الحق، فالحق لا يعرف بالرجال، ولا بكثرة من به قال، وإنما

(١) رسالة السنة، للإمام أحمد (ص ٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١٠/١)، موقوفاً على ابن مسعود .

يعرف الرجال بقدر تمسكهم بالحق، و«الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»^(١)، وإذا كانت تبرة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج فهذا يعني أن نحسن الأدب ولا نسيئه مع الكبار، وأن نقدم حسن الظن مع الاعتذار.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٦/ ٤٠٩)، موقوفاً على ابن مسعود .

المبحث الثامن :

تجديد العرض والبيان بالإفادة من معطيات الزمان

إن التجديد في عرض السيرة يعنى في بعض جوانبه بأداة عرضها، وأسلوب تقديمها، ولا شك أن لكل زمان خصائصه ولكل وقت وسائله، والتجديد يتناول مع الأساليب الوسائل والآليات.

والمؤرخ المسلم اليوم يحتاج إلى أن يتنفع بتقنيات العصر ومعطياته في تجديد عرض السيرة من خلال تلك القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية والوسائط الإلكترونية المختلفة.

ولا شك أن مجالاً رحباً - في هذا العصر - قد فتح لجمع مرويات السيرة إلكترونياً ثم تصنيفها ودراستها ونقدها بشكل منظم، وأن رسائل جامعية كثيرة قد حققت وانتقدت بشكل منهجي موثق ومعتمد، وأن باحثين كثيراً قد عنوا بالقواعد والضوابط وتقنيات المناهج في كتابة السيرة من مصادرها ومظاهرها، وأن علومًا معاصرةً يمكن أن يستعان بها في خدمة السيرة قد تبلورت وانضبطت، كل ذلك قد يؤدي خدمات جليلة في تدوين وعرض السيرة في هذا الزمان.

وبالمقابل فإن نشاطاً ملحوظاً في طرح الشبهات حول السيرة قد ظهر وانتشر، وأن جهات مشبوهة داخل العالم الإسلامي وخارجه تخترع شبهات جديدة، وتبث الأخرى القديمة، وهذا يستدعي

إعطاء الشبهات المعاصرة حول السيرة حيزها وقيمتها في الرد عليها وتفنيدها؛ سواء صدرت عن المستشرقين أم عن المستغربين. وقد رأينا كتباً معاصرة متميزة تعنى بأطلس التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وتخص السيرة بخرائط مصورة ورسوماتٍ موضحةٍ لأحداثها^(١)، وتصويراً تلفازياً لمواقع غزواتها، وأماكن مواقفها ومشاهدها.

ولا يخفى أن هذا العصر قد أمدَّ المجدد في هذا الصدد بأنواع جميلة من فنون الطباعة والإخراج والتجليد، الأمر الذي يمهد لتجديد في الشكل والقالب، بحيث يلفت القلوب والأنظار، ويمتع الفكر والأبصار، ويليق بمقام النبي المصطفى المختار. ولا تزال هناك - تحت الإعداد - مشاريع واعدة لعرض السيرة موضوعياً، وروائياً، وحضارياً في قالب تجديدي جذاب منضبط. وفي الصفحات الآتية قواعد وضوابط للتجديد في تدوين وعرض السيرة، بحيث يحقق التجديد غايته من الحفاظ على المضمون مع حصول التحديث المأمون.

(١) كما فعل ذلك د. طارق السويدان، ود. عماد الدين خليل، وغيرهما، ومن قبلهما د. حسين مؤنس.

المبحث التاسع: تقديم السيرة النبوية الكاملة

إن شخصية نبينا الكريم ﷺ وشأئله ومعالم نبوته أعظم وأكبر من أن يحاط بها في مؤلف عن سيرته، أو تُجَلَّى من خلال كتاب عن رسالته، وعلماءنا السابقون والمُحدِّثون حين كتبوا سيرته ﷺ اعتنوا بالمغازي عناية فائقة؛ لأنها تسجيل دقيق لعلاقاته في حربه وصلحه وسلمه، وتحمل إشارات كثيرة تفيد في علوم متعددة.

ومع كل هذه المساعي المشكورة في تدوين السيرة، وكل تلك الجهود المبرورة في عرض أحداثها فإن السيرة الكاملة لنبينا ﷺ لما تكتب! وذلك لأن المراد من كتابتها تجلية شخصيته ﷺ، وإظهار معالم عظمته بجوار بشريته، ليقوم الإعجاز ماثلاً أمام العيان، وليتم بدر كمال هذا الإنسان ﷺ.

ذلك أن السيرة الكاملة ليوم من أيام المصطفى ﷺ من شأنها أن يؤمن على مثلها الفئام من البشر! فكيف لو عرضت بأسرها كاملة ومكملة؛ فيُصرف إلى قيامه لليل وتهجده وبكائه ما يكون بينه وبين زوجه من حسن عشرة وكمال مودة، ويُجمَع بين إمامته لأهل مسجده في الفجر وذكر الله بعده، وبين تعليمه لجاهل وتنبيهه لغافل، ليظهر حسن تعليمه وكمال خلقه، ويُتناول خبر استقباله لو قد يدعوه إلى الإسلام بجوار انطلاقه في حاجة امرأة ضعيفة أو ملاحظة لطفل يتيم، ويُتأمل عطاؤه العطاء العظيم للفقير والمسكين مع تضرره

جوعاً وربطه الحجر على بطنه، ويُقَارَن بين مخالطته لأصحابه وتبسطه معهم وبين خلوته بربه وتعاهده لحظ نفسه، ويُساق خبر سؤالٍ ورد إليه فتوقف حتى نزل عليه الوحي من ربه ولما يغادر مجلسه! ويُوصَف موقف له مع بعض أعدائه أراد قتله فأسلم من فوره فكان من وقتها من أكابر أوليائه!

إن مقصد المقاصد التي تنطلق منها دعوة التجديد في العرض أن تعاد كتابة السيرة النبوية بمدونةٍ يوميةٍ للأعمال المحمدية، تُظهر محمداً ﷺ العابد المجاهد، والزوج والوالد، والمعلم والقائد، كل ذلك في سياق يوم واحد!

وهو مشروع عظيم رائد، لو كان له رجال، وارتفعت بأقدارهم همم عالية كالجبال، وهو جدير بأن تُرصد له إمكانات كثيرة وأموال، وهو عمل موسوعي يستفرغ ما في كتب التفسير والحديث مما له تعلق بأحداث السيرة اليومية، ويستنطق كتب المغازي والسيرة بتلك الأحداث والوقائع، ويستنشد كتب الشعر والأدب بكل ما يتعلق بتلك الحقبة الزمنية المباركة، وينظر في كل دراسة نوعية في السيرة النبوية، ويراجع كتب أسباب ورود الحديث الشريف مع أسباب نزول القرآن الكريم، ويُؤلف بين تلك الأحداث والوقائع وبين سياقاتها وسباقاتها ولحقاتها، ويرتب ذلك كله بما يملأ الفجوات الزمنية التي تركتها كتب المغازي لعدم حاجة إلى إيرادها -وفق منهج مؤلفيها- أو لنقص معلومةٍ لم تيسر في وقتها.

ويكون من ثمرات هذا العرض الجديد أن ننادي العالم بأسره هذا رسول

الله محمد ﷺ ، وتلك هي شخصيته، وهذه معالم رسالته، وتلكم جوانب الإعجاز في سيرته.

وُرجى أن تخرج مخرجات كثيرة من هذه الموسوعة في السيرة تخاطب كل أحد وبكل لسان، وتظهر فضائل وشئال النبي العدنان ﷺ ، وتجتمع فيها جميع مقاصد التجديد السابقة، فهي عرض عقدي تربوي أصولي فقهي واقعي وحضاري للسيرة المحمدية على صاحبها أزكى صلاة وأكرم تحية.

ولو أن مقارنة عُقدت بين أيامه ﷺ في مكة أو المدينة وبين أيام عظماء زمانه في بلاد الفرس والروم والهند ومصر وغيرها لأظهرت البون واسعاً شاسعاً، والهوة سحيقة بين قمته الخُلُقِيَّة السامقة، وقامته الحضارية الباسقة، وبين أهل ذلك الزمان وما تلاه من أزمان إلى يوم الناس هذا.

وتكفي إشارة في هذا الصدد لما سطره يراع رجل غير مسلم كتب كتابه عن الخالدين في تاريخ البشرية فكان محمد ﷺ رأس القائمة؛ بل هو في قائمة وحده لا يشاركه فيها إلا إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الفصل الرابع

قواعد وضوابط في منهج التدوين

تمهيد:

بعد الحديث عن المقاصد يأتي الحديث عن القواعد والضوابط، وإن كان حديث المقاصد لم يخلُ من إشارة إلى تقعيد مهم وضبط متعين.

ومع هذا فإن التجديد في العرض فيه احتفاء واحتفال بالقديم، وإبراز لأصالة طابعه، وأصيل خصائصه، وتقوية لما ضعف منها. وفيما يلي حديث عن الضوابط والقواعد التي تحكم عمل المجدد في تدوين السيرة النبوية وكتابتها.

المبحث الأول :

العناية بالمصادر الشرعية الصحيحة وتقديمها

إن المصادر الشرعية الصحيحة للسيرة النبوية واجبة التقديم والتقدير على دعاة التجديد ورواده في السيرة وذلك لاعتبارين: أولهما: لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية وذلك لاتصالها بالوحي الشريف من جهة مصدرها، ولثبوت ألفاظها بالنقل المتواتر في القرآن الكريم ومتواتر السنة، وصحيح آحادها.

ثانيهما: ما تدل عليه من السنن الربانية والنظرة الشمولية لتاريخ البشرية، مما يهيئ المقدرة على اكتشاف السنن الربانية ومعرفة علاقاتها بالهدى والضلال والإيمان والعصيان ثبوتاً ونفيًا.

أولاً: القرآن الكريم وتفسيره وعلومه:

وإن لم يكن القرآن الكريم بالضرورة كتاب تاريخ إلا أنه بالضرورة أيضًا أصح مصدر وأهم أصل تاريخي تستقى منه مادة للسيرة النبوية أو غيرها؛ ذلك أن الصحة ميزته، قال عنه سبحانه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: ٤٢].

فإذا كانت روايات السيرة أو أخبار الحديث قابلة لأن تضم بين أحادها خبرًا غير صحيح، أو رواية مشكوكًا فيها، أو تحليلًا أو تفسيرًا يبتعد عن الحقيقة، فإن القرآن الكريم وآياته بمنأى عن

ذلك كله؛ إذ هو الحق المطلق^(١).

• وإن الصورة الواضحة الصادقة لشخصية الرسول الكريم ﷺ في القرآن الكريم، هي أصدق ما وصل إلينا من أخبار، وهي أصح وصفٍ لحقيقة سيرته وشأنه، ودلائل نبوته، وأخلاقه وخصائصه، وهي أوثق تقرير لما كان عليه في جميع حالاته، سواء قبل بعثته مما يتعلق ببيته وفقره، أو بعد بعثته وهجرته.

• وقد انفرد القرآن الكريم بخاصية دون غيره من مصادر السيرة -على تعددها- ألا وهي تجليته لحالة النبي ﷺ النفسية، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن، ولولا القرآن الكريم ما كدنا نعرف شيئاً عن ذلك، وهذا أمر مهم جداً نوازن بينه وبين مجموع سيرته الظاهرة لتأكد من صدقه ونزاهته، وليتم الربط الصحيح بين تصرفه الظاهر وممارسته في الحياة والدعوة، وبين طويته وسريته الباطنة^(٢).

وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

من يملك أن يكشف هذا الأمر الباطني إلا من يعلم السر وأخفى؟!

(١) السيرة النبوية في القرآن الكريم، د. عبد الصبور مرزوق، دار الكتاب المصري -

دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤٠٦ هـ، (ص ٢٨، ٢٩).

(٢) مصادر السيرة وتقويمها، د. فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ٢،

١٤١٠ هـ (ص ٢٧-٢٨).

والأمر يتعدى نبي الله ﷺ إلى أصحابه رضي الله عنهم، يقول تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ۖ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥-٦].

ومثل هذا كشف طبيعة الكافرين ونفسية المنافقين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال سبحانه: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

• وبالإضافة إلى هذا فإن القرآن يضع هيكل السيرة كاملاً، وأساسياتها، وعدداً غير قليل من التفصيلات، والأحداث الجزئية المهمة، وإن كانت خلواً من الأرقام والأعلام ليناسب ذلك جلاله وبهاءه، ودوامه وعموم لفظه وخطابه، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

• إن المتأمل في الوصف التفصيلي الدقيق ليوم بدر وساحة المعركة، وموقع الفريقين في الأحزاب، وحالة المؤمنين في جهازهم لتبوك، ليعجب من دقة الوصف مع الإمام بالوقائع، والإيجاز لحكمة اللغة.

ولا تغفل الآيات فقه السيرة، وعبرة أحداثها، ودروس تلك

المواقف الخالدة، فيعقب السياق القرآني على بدرٍ بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرٍّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

ويعقب على أحد فيقول: ﴿أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

ويعقب على حادثة الإفك فيقول: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَأْنًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَبِيرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]، وتلك إشارات معجزة في مغزاها ومعناها. ومنهج القرآن في عرض أحداث السيرة وقصص الأنبياء يقوم على دعامتين:

أولاهما: الانتقاء، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وهذا ينسحب على بعض أحداث السيرة بالضرورة. ثانيتهما: التجريد، وهو عرض لبعض الأحداث بشكل مجرد عن ذكر السياق والتسلسل التاريخي.

وذلك لإرادة ترسيخ العبرة وتحقيق العظة، وتقوية الجانب الأخلاقي والتربوي من تلك الوقائع والأحداث^(١).

وعلى ما تقدم فإن القرآن هو كتاب السيرة المعصوم في خبره المقطوع بشبوته، فهو أمام كل مصدر، وإمام كل كاتب ومتحدث في

(١) مصادر السيرة النبوية، د. ياسر نور (ص ٢٩-٣١).

السيرة النبوية، وسيظل القرآن هو أهم معيار نقدي تردّ إليه أخبار السيرة ومروياتها.

• والقرآن يعطي من السيرة خبرها وعبرها من غير استقصاء لأحداثها؛ لأنه ليس كتاب تاريخ، بل هو دستور حياة، ومنهج يهدي للتي هي أقوم، فكل ما كان أقوم فالقرآن به أقوم، ولا يعني هذا اطراح ما لم يرد في القرآن من خبر صحيح، أو سيرة قطعية متواترة.

وكتب التفسير تسفر عن مراد الله تعالى من كتابه، فلا بد لمريد علم السيرة من مطالعة لكتب التفسير بالمأثور، كتفسيري ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، ونحوهما.

قال ابن تيمية: «أما التفاسير التي بأيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة»^(١).

ومروياته في السيرة وفيرة وتعليقاته عليها سديدة. والتفسير بالمأثور وإن كان يعنى بنقل الخبر عن معاني الآيات إلا أنه يرتبط بأسباب النزول وتحديد المكّي والمدني. يقول ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب»^(٢).

(١) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٢/ ١٩٢).

(٢) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (١٣/ ٣٣٩).

وعليه فإن السيرة النبوية هي قوام مادة هذا العلم، وأداة عمله على اعتبار أن الآيات نزلت منجّمة ومفرقة على الأحداث والوقائع، وعلى هذا فلن يتسنى فهم النص القرآني إلا من خلال فهم سياق الحدث وخلفيته التاريخية.

ولا شك أن هناك أحداثاً قد ضبط المؤرخون وقت وقوعها بالاستناد إلى أسباب النزول^(١)، وإن كانت الأسباب قد تتعارض في الآية الواحدة، وعندئذ يصار إلى الترجيح عند عدم إمكان الجمع بتعدد القصص أو بتعدد النزول.

وبالجملة فإن من معالم التجديد في تدوين السيرة ومعاقده أن يكون الانطلاق في عرضها من كتاب ربنا وما صح من الآثار في تفسيرها وما رافقها من أسباب النزول المعتمدة في توثيقها.

ثانياً: الحديث النبوي وشروحه:

قدمنا فيما سبق بياناً لوثيق العلاقة بين السنة والسيرة، وأن السيرة تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الحديث النبوي^(٢).

وقد قال د. محمد حميد الله: «رحم الله البخاري، الذي سمي كتابه (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وأيامه) ففيه:

(١) يراجع على سبيل المثال تحقيقهم لوقت غزوة بني المصطلق وأنها كانت في شعبان سنة ٦هـ، لاقتربها بحادثة الإفك ونزول سورة النور في تلك السنة، وعليه تدل ترجمة البخاري للقصّة في صحيحه.

(٢) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، ط١، ١٩٨٨م، (ص٢٧).

أمور رسول الله ﷺ: من قوله وفعله، وتقرير أفعال أصحابه بالسكوت، وفيه كذلك: ذكر أيامه وما حدث في عصره الشريف، ليس فقط من أحوال المسلمين أو العرب، بل أيضًا معلومات من البلاد المجاورة، مثل: الحبشة والروم وفارس وغيرها^(١).

وهذا يدل على أن السيرة خرجت من رحم الحديث النبوي، وإن كانت السيرة استفادت من علم التاريخ الحرص على التسلسل في القصة واكتمال الأجزاء وترابط الأحداث، بدون تكرار قد يُمل، وربما عرضت السيرة لأحداث ما قبل الولادة وبالضرورة لأحداث ما قبل البعثة.

وإذا كانت مؤلفات المؤرخين قد خالفت مؤلفات المحدثين في المنهج وطريقة التصنيف؛ إلا أن هذا لا يمنع أن يكون الحديث الشريف هو عمدة مصادر السيرة بعد القرآن الكريم.

وكتب الحديث على اختلافها وتنوع مادتها وطريقة تصنيفها من الصحاح إلى المسانيد والمستدركات والمستخرجات، والأجزاء والمعاجم والموطآت ونحو ذلك تزخر جميعًا بمادة ثرية عن السيرة النبوية.

فإذا يَمَنَّا وجهنا شطر صحيح البخاري الذي قال عنه ابن كثير: «وكتابه الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله

(١) سيرة ابن إسحاق، تحقيق د. محمد حميد الله، المقدمة: طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالملكة المغربية، ١٣٩٦هـ.

وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام^(١)، نجده يفرد عشرات الأبواب مما له تعلق بالسيرة.

وهو إلى جانب صحة الرواية يترجم لأبوابه بما يدل على الفقه في الدين والبراعة في التصنيف، ومن تلك الأبواب المميّزة: (باب فضائل النفقة في سبيل الله)، (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال)، (باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى الإمام)، وهي أبواب ضمنها كتاب المغازي.

وعلى هذا سار في كتب الجهاد والسير، وفضائل الصحابة، ومناقب الأنصار وغيرها.

وعلى منواله نسج الإمام مسلم في صحيحه، مشروطاً بتحصيل الصحيح من الروايات، مع عناية -من شراحه- بالتبويب الخاص بالسير والجهاد، وفضائل الصحابة وغيرها من الكتب والأبواب، ثم تأتي كتب السنن الأربعة، ومسند أحمد، وموطأ مالك، وغيرها من الكتب التي لم تلتزم الصحيح التزام الصحيحين، وتتميز تلك الكتب باعتماد الإسناد، ليتبين أمر الرواية بالوقوف على حال رجالها، وضبط طرق الرواية عن أعلام مدوني السيرة الأوائل.

وهذه الكتب بعد الصحيحين يقع فيها الضعيف مع الصحيح وقد تصدّى لها العلماء فرووها بأسانيدها، ونهبوا على ضعف ما ضعف منها.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٠).

وقد قال أبو حاتم الرازي (ت: ٢٧٧هـ): «لم يكن في أمة من الأمم، منذ خلق الله آدم أمناً يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»، فقال له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له، ولا يصح، فقال: «علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها»^(١).

وينبغي لمريد التجديد في السيرة النبوية أن يضع نصب عينيه المعالم الآتية وهو يستقي السيرة من السنة النبوية المطهرة:

١- الجمع بين سياقات الآيات القرآنية، وروايات الأحاديث النبوية يقدّم للدارس مادةً ثريةً، فإذا كانت تلك الأحاديث رواياتها مصححة، وطرقها متقدمة ومعدّلة، فقد حصل له من السيرة أوثقها ومن الأخبار أقومها.

٢- من الأهمية بمكان لدى تدوين السيرة الماثورة من القرآن والسنة الصحيحة أن يرتبط الدارس بفقهها، وأن يحرص على إبراز دروسها، لتفعل فعلها في الإصلاح والتهذيب، بدلاً من قصرها على التسلية وترجية الأوقات، أو مجرد التبرك وتعطير الأسماع والقلوب.

وأحاديث السيرة المسندة تمس الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في عصر النبي ﷺ وتبرز الجوانب الحضارية في صدر الإسلام.

(١) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، (ص ٤٢-٤٣).

٣- على المجدّد في دراسة السيرة من الحديث النبوي أن يجمع مرويات السيرة، لا من كتب المغازي والجهاد والسير ونحوها فحسب؛ بل عليه أن يستثمر كل ما في السنة من روايات؛ ليقدم رؤية متكاملة في السيرة النبوية.

ولا شك أن هذا عمل كبير وجهد فذ لو أمكن أن يتحول إلى مشروع بحثي وفق ضوابط منهجية محددة.

ثالثاً: شعر الدعوة الإسلامية وكتب الأدب:

الشعر ديوان العرب، ومدونة التاريخ والحضارة، وكتب الأدب والشعر تعج بالأشعار التي حكّت حياتهم في جاهليتهم الأولى، وما معلقاتهم إلا لسان صدق يعبر عن حياتهم ويترجم عن أحوالهم. وكتب الأدب التي صنفت خلال القرون الثلاثة الأولى تحمل شيئاً كثيراً من ذلك.

وكتب السيرة ومدوناتها ملأى بأشعار تكاد تشمل مراحلها كافة، حيث أوردت تلك الكتب أشعاراً قبل مولده ﷺ مما يعتبر إرهاباً لمولده، وأشعاراً تستبشر بولادته، تنقل تارة عن أمه وتارة عن جده، وأخرى عن عمّه أبي طالب.

أما ما يتعلق بالفترة من بعثته إلى وفاته ﷺ فقلّ أن نجد واقعة لا أثر للشعر فيها ولا مشاركة للقريض بها، وهذه لمحات مختطفة، وباقات مقتطفة من أمثلة للتذكير بهذا المصدر الثري.

فهذا عبد المطلب يروى عنه عند ورود الخبر بولادته ﷺ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَزْدَانِ
 قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَمَانِ أُعِيدُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
 حَتَّى يَكُونُ بُلْغَةَ الْفَتَيَانِ حَتَّى أَرَاهُ بِالْعِزِّ الْبُنْيَانِ
 أُعِيدُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَانٍ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ^(١)

وفي أمر التحكيم في وضع الحجر الأسود بعد إعادة بناء
 الكعبة قال أبو هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

تَشَا جَرَّتِ الْأَحْيَاءُ فِي فَضْلِ خُطَّةٍ جَرَتْ طَيْرُهُمْ بِالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ
 تَلَاقُوا لَهَا بِالْبُغْضِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ وَأَوْقَدَ نَارًا بَيْنَهُمْ شَرُّ مُوقِدِ
 فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ سَلِّ الْمَهْدِ
 رَضِينَا وَقُلْنَا الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعٍ يَجِيءُ مِنَ الْبُطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
 فَلَمْ يَفْجَحْنَا إِلَّا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ فَقُلْنَا رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدٍ^(٢)

وهذا صرمة بن قيس رضي الله عنه يذكر بمقام النبي صلَّى الله عليه وآله في مكة، يحتمل
 الأذى في سبيل دعوة الله فيقول:

ثَوَى فِي قَرْيَشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِنَا
 وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرِ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا^(٣)

(١) «سبل الهدى والرشاد»، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: عادل عبد
 عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ -
 ١٩٩٣م، (١/ ٣٦٠).

(٢) سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٧٢).

(٣) الروض الأنف، للسهيلى (٤/ ١٩٤).

وقال الصديق لما دخلا الغار:

قَالَ النَّبِيُّ وَلَمْ أَجْزَعْ يُوقِرْنِي وَنَحْنُ فِي سُدْفٍ مِنْ ظُلْمَةِ الْغَارِ
لَا نَخْشَ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ تَالِثُنَا وَقَدْ تَوَكَّلَ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارٍ^(١)

وقال لما دमित إصبعه ﷺ في بعض المشاهد:

إِنْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ^(٢)

وقال عبدالله بن جحش رضي الله عنه يذكر هجرة الصحابة:

لَمَّا رَأَيْتُنِي أَمْ أَتَمَّحَدَ غَادِيَا بِذِمَّةٍ مَنْ أَخْشَى بَغْيٍ وَأَرْهَبُ
تَقُولُ: فَإِمَّا كُنْتُ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَيَمَّمُ بِنَا الْبُلْدَانَ وَلْتُنَا يَثْرِبُ
فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ يَثْرِبُ الْيَوْمَ وَجْهًا وَمَا يَشَأُ الرَّحْمَنُ فَالْعَبْدُ يَرْكَبُ
إِلَى اللَّهِ وَجْهِي وَالرَّسُولُ وَمَنْ يَقُمْ إِلَى اللَّهِ يَوْمًا وَجْهَهُ لَا يُجِيبُ^(٣)

وفي طريق الهجرة سُمع هاتف يقول:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا حَيَمَتِي أَمْ مَعْبَدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ^(٤)

فلما وصلا إلى المدينة تلقاهما أهلها منشدين:

(١) الروض الأثف، للسهيلى، (٤/ ١٤٢)، البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث جندب بن سفيان.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٨٢).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٠).

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ^(١)

وهكذا بعد الهجرة دونت الأشعار تلك الأحداث وعبرت عنها أحسن تعبير وأجمله، ومظان هذا الشعر في كتب السير والتاريخ، ومدونات الحديث، وشروحه، وكتب الأدب، وفروعه، كالبيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، وطبقات الشعراء لابن سلام الجحامي (ت: ٢٣١هـ)، والشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، والكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت: ٢٨٦هـ)، وغيرها.

• ويمتاز هذا الشعر بالجملة بصحته، وإن كان لا يزال قسم منه بحاجة إلى نقد وتمحيص، وهذا لا يمنع من وجود جهود قديمة في هذا الصدد، ومن ذلك قول ابن هشام عندما أورد لامية أبي طالب: «هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها»، وعقب عليه ابن كثير بقوله: «هذه القصيدة عظيمة بليغة جداً، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعاً»^(٢).

• وما تمتاز به تلك الأشعار دقة الوصف وضبط الأعداد، ومن ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه، وهو يصف غزوة أحد:

(١) روى هذه القصة البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٦) و(٥/ ٢٦٦)، وينظر زاد المعاد، المعاد، لابن القيم (٣/ ٤٨١)، وفتح الباري، لابن حجر (٨/ ١٢٨-١٢٩).
(٢) البداية والنهاية (٣/ ٧٤).

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقْنَعٌ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَتَحَنُّنٌ نَصِيَّةٌ ثَلَاثٌ مِئْنِينَ إِنْ كُنْزَنَا فَاذْبَعُ^(١)

ومثل هذا شعر حسان في بدر وفتح مكة وغيرها^(٢).

وهذا الشعر قد عني كثيرًا بعرض شمائل النبي ﷺ وبيان محاسن أخلاقه ودينه، ومن ذلك قول كعب بن زهير رضي الله عنه:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ^(٣)

ومنه قول أبي عزة في الرسول ﷺ:

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَّسُولُ مُحَمَّدًا بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ

وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ

وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوئْتَ فِينَا مَبَاءَةً لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودٌ^(٤)

• وأخيرًا فإنه شعر مفعم بالعاطفة متأجج بالحماسة، ومن

أوائل ذلك قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين رمى بأول سهم في سبيل الله، وكان في سرية عبيدة بن الحارث:

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٩٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٠، ٣٨٢-٣٩٢) (٤/ ٤٣).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ١٦١).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦).

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي
 حَيَّتْ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَيْلِي
 أَذُودُ بِهِ أَوَائِلَهُمْ ذِيَادًا
 بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
 فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ
 بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَلِيلِي
 وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ
 وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَعَدْلٍ^(١)

وهذا ابن رواحة رضي الله عنه يقود ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء ويقول:

خَلَّوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
 خَلَّوْا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
 يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
 أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
 نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
 كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
 ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
 وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ^(٢)

ولا يغيب -مرة أخرى- عن مرید التجديد في هذا الميدان أهمية تخليص هذا الشعر من دخيله، والحرص على ثبوته وتوثيقه، وتقديم ما ورد منه في كتب الحديث وشروحه، ثم كتب السيرة والتاريخ، فكتب الشعر والأدب، ومعرفة مناهج مؤلفيها، ومذاهب كاتبها.

وما ورد من أشعار الهجاء التي قالها الكفار أو خاض في مستنقعها المنافقون والفجار فحقها المحو أو النسيان.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٥).

وصفوة القول:

- فإنه يتعين على رواد التجديد في عرض السيرة أن توجه جهودهم أولاً إلى غربة كتب التفسير بالمأثور والحديث وشروحه من كل ما لا يقبل وينكر إirاده في سيرة النبي ﷺ.
- ثم يعتنى بنقل الأخبار من شهودها المشاركين فيها، ومن أصحابها الذين تعلقت بهم، فإن ذلك أولى وأحرى، ولا سيما عند الاختلاف بين الروايات والتعارض بين السياقات.
- كما تلزم الإفادة من تلك الرسائل الجامعية والدراسات الموسوعية التي عنيت بنقد مرويات السيرة، والتي اضطلعت الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وكلية الحديث بها بالقسم الأكبر منها، والقدح المعلن فيها^(١).
- ولا امتراء في أهمية النقد الحديثي وتميز صحيح المرويات من سقيمها، مما يزيد اليقين بصحة تلك الوقائع المروية في السيرة، ويضيف إليها المهم المفيد من المعلومات، ويوضح بعض الجوانب، ويرجح بعض السياقات، ويعدل في بعض الموضوعات، ويبرهن على حرص المصنفين على نقل كل ما يتعلق بسيرة خاتم النبيين ﷺ.

(١) يراجع: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، فقد ذكر عددًا منها (٢٣-٢٤).

المبحث الثاني: اتخاذ الموقف الصحيح من المصادر الأخرى

قدمنا ما بين المحدث والمؤرخ من تفاوت في المنهج وطريقة التصنيف، وقد اشترط بعضهم في المؤرخ ما يشترط في المحدث، وفي رواية السيرة ما في رواية الحديث^(١).

غير أن الصواب التفصيل فحيث تعلق الأمر بعقيدة أو شريعة، أو كان خاصاً بالنبي ﷺ في شخصه، أو بأحد من الصحابة رضي الله عنهم فيجب التدقيق في رواية الخبر ونقلته، وكذا إذا تناول بعض الأئمة والعلماء ثابتي العدالة بثلث أو تجريح «لأن كل من ثبتت عدالته لا يقبل جرحه حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه»^(٢).

أما إذا لم يكن الخبر متعلقاً بشيء من ذلك أمكن التساهل فيه من غير رواية عن كذاب أو وضاع أو شديد الضعف ونحو ذلك.

والأخبار التاريخية المنقولة عن الأخباريين تحتل مكانها المناسب في الدراسات التاريخية من غير إفراط وبخذر.

وشروط قبول رواية المؤرخ نوعان:

النوع الأول: شروط تتعلق بذاته.

النوع الثاني: شروط تتعلق بروايته.

أما ما يتعلق بذاته من شروط فهي :

(١) ينظر موقف الكافيحي، وقد تقدم (ص ٣٧).

(٢) التهذيب، لابن حجر (٧/ ٢٧٣).

١ - العدالة :

وهي صفة تحمل صاحبها على السلامة من الفسق وخوارم المروءة^(١).

٢ - معرفة الأصول المنهجية في النقد، والموازنة بين الروايات المتعارضة:

يقول ابن تيمية ؟: «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»^(٢).

٣ - الإلمام بالأحكام الشرعية وبأحوال الناس ومنازلهم:

فلا غنى بالمؤرخ أن يكون ملماً بالأحكام الشرعية وأصولها، ضابطاً لمدلولات الألفاظ ومواقعها، عارفاً بأحوال الناس ومنازلها.

قال ابن تيمية؟ عن هذين الأصلين المهمين في الأحكام: «أحدهما: المعرفة بحالتهم، والثاني معرفة حكم الله في أمثالهم»^(٣).

٤ - ملازمة التقوى والورع مع الثبوت:

قال السخاوي: «ومتى لم يكن ورعاً مع كونه معروفاً بالعلم، اشتدّ البلاء به، بخلاف العكس، فالورع والتقوى يحجزه ويوجب له الفحص

(١) اختصار علوم الحديث، لابن كثير مع شرحه الباعث الحثيث، ت: أحمد محمد شاكر، دار التراث، ط ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م (ص ٧٦).

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، جامعة محمد بن سعود، ت: محمد رشاد سالم، ط ١، ١٤٠٦هـ (٥/ ٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ٥١٠).

والاجتهاد وترك المجازفة»^(١).

٥- الإنصاف واجتناب الغرض والهوى:

قال ابن القيم: «والله يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلّى بها الرجل، خصوصاً من نصب نفسه حكماً بين الأقوال والمذاهب، وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾»^(٢) [الشورى: ١٥].

فينبغي أن يجتنب المبالغة والمجازفة في الأحكام، وذلك بحسب حال الرضا والموافقة، أو حال الغضب والمخالفة.

وأما ما يتعلق بروايته فهي^(٣):

١- اعتماد اللفظ دون المعنى:

بأن ينقل نص الكلام دون معناه، ولا يتصرف فيه بتقديم ولا تأخير.

٢- أن يسمى المؤرخ المصدر الذي نقل عنه:

وذلك حتى تعرف مصادره وتختبر موارده.

٣- أن يكون نقله مضبوطاً:

فلا يجوز أن يأخذ من الشيخ في أثناء المذاكرة، ثم يدونه بعد ذلك.

(١) الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي (ص ١٢٢).

(٢) إعلام الموقعين، لابن القيم، ت: طه عبدالرؤف سعد، دار الجيل، ط ١٩٧٣ م، (٣/ ٩٤).

(٣) يراجع: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة مكتبة عيسى البابي الحلبي، ط ١ (٢٢/ ٢).

٤- التحري فيما يراه من الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم :

وذلك لما أمرنا به من الإمساك عما كان بينهم والتأويل له بما لا يحط من مقدارهم، ويلتحق بذلك ما وقع بين الأئمة، لاسيما المتخالفين في المناظرات والمباحثات^(١).

يقول السبكي: «لا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضي لبعضهم على بعض»^(٢).

فإن كان المؤرخ أو صاحب السير من أهل الأهواء والبدع فهو على ضربين:

أولاً: من كانت بدعته مكفرة :

مثل غلاة الشيعة والرافضة، الذين يسبون الشيخين، ويكفرون أصحاب النبي ﷺ، ومثلهم الباطنية والإسماعيلية، والقرمطية، والنصيرية، والحلولية، فهؤلاء لا تقبل لهم رواية ولا يؤخذ عنهم^(٣).

(١) الإعلان بالتوخيخ، للسخاوي (ص ٦٤-٦٥).

(٢) قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين، للسبكي، ضمن أربع رسائل في علوم الحديث، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، (ص ٦٠).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ت: علي محمد البجاوي، طبعة دار المعرفة، بيروت، (١/ ٤).

ثانيًا: من كانت بدعته غير مكفرة :

فلا تقبل رواية تدعو إلى بدعة، وما عدا ذلك يقبل، إن كان معروفًا بالصدق والديانة، والورع والضبط، فإن عرف بالتعصب لبدعته فلا يقبل ما يرويهِ مما له تعلق بأهل السنة، فإن كان لا يعرف بالتعصب ولا يلحظ ذلك في خبره فيقارن خبره بغيره من الأخبار^(١).

(١) منهج كتابة التاريخ، د. محمد بن صامل السلمي، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (ص ٢٥٥).

المبحث الثالث:

الجمع بين المناهج المنضبطة والعلوم المترافدة

لقد ضبط أهل الحديث المتقدمون منهجهم بقواعد محكمة وشيدوا بنيانهم على أسس ثابتة، وسار المؤرخون على منهج أقل في الضبط والإحكام؛ لأسباب ودوافع معروفة، ولم يمنع هذا أن يكون المؤرخ محدثًا، ولا المحدث مؤرخًا.

ولكن في القرون المتأخرة ضعفت العناية بالأسانيد، واضمحلت الرعاية لتقد المتون، فجاءت الكتابات المعاصرة في السيرة والتاريخ خلواً من تمييز المقبول والمردود من الروايات والأخبار، وبالمقابل وجد من يعتني في العصر الحاضر بالنقد التاريخي وفقاً للمناهج النقد عند علماء الغرب، من غير أن يراعوا خصوصية تلك المناهج لكتابات الغرب، ومن غير أن يتنبهوا لخصوصية السيرة النبوية، ودوافع السلوك عند المسلمين.

ولا شك أنه من الخذلان أن تولي الدراسات التاريخية النقدية وجهها شطر المنهج الغربي بالتزام حرفي، وتدير ظهرها للدراسات النقدية للرجال في علم الجرح والتعديل، والدراسات النقدية للمتون ومعايير نقدها عند المحدثين.

ولو أنه حصل الجمع بين المنهجين؛ النقدي الحديثي الإسلامي لخصوصيته وأصالته، والغربي لمعاصرته وسهولته، وأضيف إليهما العقلي الأصولي، بحيث يحكم منهج المحدثين منهج النقد الغربي بمعايير التصور الإسلامي، فعندئذ تتجلى الفوائد وتجتمع المصالح.

وقد سبق التنبيه إلى أهمية الجمع والمزاوجة بين الدراسات الاجتماعية الحديثة، والعلوم التربوية، وعلم السيرة. كما تتأكد العناية هنا بعلوم أخرى كالفقه والأصول والتوحيد في نقد المتون الحديثة والتاريخية، وتظهر بجلاء أهمية الإشارة أيضًا للجوانب التشريعية من خلال السيرة النبوية، لتتضح الجوانب الخلقية، والقانونية التي تحكم الأفراد، والمجتمعات الإسلامية حيث لا يتأتى الفصل - لمن يريد التجديد - بين السياسي والعسكري والأخلاقي والتشريعي، خاصة في القرون الأولى من تاريخ الإسلام، حيث تتشابك العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بالعقيدة والشرعة تشابكًا وثيقًا بحيث يصعب فهم حركة التاريخ في تلك المرحلة دون فهم روح الإسلام ومبادئه^(١).



(١) السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمري (١/ ١٧، ١٨).

المبحث الرابع : التأكيد على المعجزات النبوية جميعاً مع الدلائل والخصائص والشمائل

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى جمع لنبينا أنواعاً من المعجزات والخوارق، وأن الله تعالى قد يكرم بعض أوليائه بشيء من الكرامات.

ومن معجزاته ﷺ ما نص القرآن على حصوله كالإسراء وانشقاق القمر، وبعضها ثبت في السنة الصحيحة، كتكثير الطعام بين يديه، ونبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع إليه، وتسليم الشجر والحجر عليه، وإخباره بالمغيبات ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد جمع الله لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق...».

وقال عن الكرامات: «وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم فمثل عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن يبطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً...، وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس»^(١).

ولا شك أن هذا فيه رد بالغ على رواد المدرسة الإصلاحية الذين

(١) مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية، ط، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، (٥/٤-٦).

سبق أن من مناهجهم إنكار المعجزات الكونية بتأويلاتٍ واهية لا تصمد أمام التحقيق العلمي.

ولا امتراء أيضًا أن إثبات المعجزة الخالدة (القرآن الكريم)، ونفي بقية المعجزات الثابتة بالنقل الصحيح إنما هو في الحقيقة خضوع وانصياع للفكر المادي، والفلسفات الوضعية، ولا بد للمسلم من الاستعلاء والاعتزاز الذي يحقق له الاستقلال التام في النظر والبحث العلمي^(١)، ومن ثم فإن من مقاصد التجديد في كتابة السيرة وعرضها إثبات المعجزات الحسية في سيرة النبي ﷺ عندما تثبت بالنقل الصحيح من غير تعرض لها بتأويل أو تضعيف أو إنكار.

وتعتبر دلائل النبوة أوسع موضوعًا من المعجزات؛ لأنها تشمل بشارات الكتب السابقة وبشارات الأنبياء والمرسلين، وإخباره ﷺ بالأمور الغيبية التي حدثت أو التي ستحدث، فالدلائل بالجملة استدلال على النبوة على غير شرط التحدي^(٢).

وأما الخصائص فيقصد بها ما انفرد به النبي ﷺ عن غيره سواء على صعيد الأنبياء ككونه خاتمهم، أو على صعيد أمته فيما اختص به من أحكام كجواز النكاح فوق أربع، أو ما انفردت به أمته عن غيرها من الأمم كحل الغنائم^(٣).

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/ ١٧).

(٢) من كتب الدلائل: «دلائل النبوة»، للبيهقي، «أعلام النبوة»، للماوردي.

(٣) من كتب الخصائص: «غاية السؤل في خصائص الرسول»، لابن الملقن، «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.

وأما الشئائل فتتناول أخلاقه ﷺ وصفاته، وفضائله وسلوكه مع أزواجه وأهل بيته، وأصحابه والناس أجمعين، مع وصف خلقته الشريفة، وما متعه الله به من الكمالات^(١). والعلماء قديماً وحديثاً عنوا بتلك الأبواب جميعاً وخصوصها بالتأليف المستقل، وضمّنها أهل الحديث في أبواب من كتبهم، وهي جميعاً تفيد دارس السيرة مزيد يقين في نبوة خاتم النبيين، وتملأ صدره من محبة خلقه وخلقه، وتمده بمعلومات مفصلة عن حياته الخاصة والعامة، ولو أن تلك المعلومات المفيدة رصفت جنباً إلى جنب مع أحداث السيرة وأخبارها مشفوعةً بدروسها وعبرها لكانت في سياق أمثل، ولكانت الفائدة منها أكمل.

(١) من كتب الشئائل: «الشئائل النبوية»، للترمذي، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، للقسطلاني.

المبحث الخامس : تفسير الأحداث وفقاً للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح

إن كلمة المنهج قد تطلق ويراد بها القيم والمبادئ التي يلتزمها الباحث، وقد تطلق ويراد بها طريقة معينة في البحث العلمي لمادة من المواد.

والمنهج الإسلامي لدراسة التاريخ يعني -في التصور الأول- تلك التصورات والمبادئ الإسلامية التي تمثل منطلقات عامة وأساسية تحكم دراسة التاريخ وتفسيره وفقاً لما هو منبثق عن الإسلام.

وقد مضى حديث عن المنهج بمعنى قواعد الإثبات والتوثيق، وعن الخلل المنهجية في هذا وسبل تلافيه.

والمنهج بالمعنى الأول هو ما يدور عليه البحث؛ فالإسلام بعقيدته الصحيحة ومفاهيمه المستقيمة يقف خلف كل ما بناه المسلمون من حضارة؛ ذلك أن المسلم -أيّاً كان موقعه- منتسب إلى عقيدته، لا يخرج عن ثوابتها، وعنهما يصدر في جميع تصرفاته، فهي بمثابة الدافع للسلوك والحاكم لها وعليها، وفي ضوئها تفسر حركة المسلم فرداً كان أو جماعة.

ولا بد للباحث في تفسير أحداث السيرة أن ينظر إلى الإيمان بالدار الآخرة عند المسلمين كمحرك أساس لطلب الشهادة،

والتضحية بالمال والإنفاق، والورع والصدق، والوفاء والصبر، ونحو ذلك.

وعلى هذا الأساس من الالتزام بصحيح المعتقد تقاس أعمال الباحثين في السيرة، وجهود المؤرخين، وتوزن مناهجهم وطرائقهم في التأليف.

لأن الباحث المسلم ليس مطلق الحرية في اتخاذ المواقف وتفسير الحوادث وتقييمها كيفما عنَّ له الخاطر، والمفهوم العقدي للمنهج في تفسير الأحداث والالتزام به في البحث والدراسة مفرق الطريق بين الباحث المسلم وغيره، فمن عرف ربه ورضي به ربًّا وبالإسلام ديناً يعرف من هو، وما دوره، وما مصيره في الحياة وبعد الممات فهو في طمأنينة واستقرار فكري، بخلاف من هو من ذلك في شك، فهو يخبط بالظنون والأوهام ويرجم بالغيب.

وقف الكون حائرًا أين يمضي؟ ولماذا وكيف لو شاء يمضي
عبث ضائع وجهد غبين ومصير مقنع ليس يرضي

فحق على من يتصدى لأحداث السيرة خاصة أن يكون ذا عقيدة صحيحة ودراية بعلوم الشريعة، إضافة إلى تخصصه، وإلا أصبح تفسير الأحداث ألعوبة لمناهج أهل البدع والأهواء^(١).

«إنه لمن الصعب التصور بإمكان دراسة الحياة الإسلامية كاملة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية، وإدراك التصور

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، د. محمد بن صامل السلمي (ص ٩١).

الإسلامي عن الله والكون والحياة والإنسان، ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة وطريقته في الاستجابة للحياة كلها في ظل العقيدة، وهذه الخصائص لا توجد عند غير الباحث المسلم الملتزم بإسلامه»^(١).

ولا شك أن الإخلال بهذا الأمر قد أوقع عددًا من الكاتين في سيرة خير الأنام وتاريخ الإسلام في أخطاء كبيرة.

فهذا ينكر نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وآخر يتشكك في المهدي، وثالث يتهم بعض ما ثبت من الغيبات يوم القيامة!!

وآخرون ممن اختل منهج التقويم الحضاري بأيديهم يحملون الإسلام مسؤولية التخلف الحضاري للأمة الإسلامية اليوم، بل ويحملونه مسؤولية الهزائم العسكرية والتخلف التقني، ويؤمنون بضرورة عزل الأمة المسلمة عن تاريخها المشرق، وفصلها عن تراثها المجيد، ويزعمون التجديد فيما يكتبون، وما هم إلا أبواق مكشوفة، وصنائع مقهورة، وربائب مفضوحة للاستشراق ودهاقته.

وآخرون يقفون مبهورين أمام مخلفات حضارات قامت على العبودية لغير الله، ويشيدون بها مشدوهين برموز تلك الحالة غير الحضارية كأصنام ممثلة، أو قبور مشيدة، أو أسحار محرمة، أو أفكار ضارة محرمة.

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب (ص ٤٦).

والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والتفسير الإسلامي للحوادث والتاريخ يستمد نظريته ومنهجه من أصول الإسلام ومصادره، وهذا سرٌّ من أسرار المفارقة بينه وبين غيره من المناهج، فليس تفسيراً تبريراً^(١)، بل تبرز فيه خصائص الإيوان المستعلي على ما سواه.

وليس تفسيراً مادياً يحصر المؤثرات على حركة الحياة والأحياء في عوامل مادية كتبدل وسائل الإنتاج -كما هو عند الماركسيين- أو عوامل خارجية كالمناخ والاقتصاد والجغرافيا -كما هو عند الغربيين- بل هو يوضح دور الإنسان ومسئوليته عن التغير الاجتماعي والتاريخي في إطار المشيئة الإلهية^(٢).

وهو أيضاً ليس تفسيراً طائفيّاً يبحث عن مصالح فئة ويدعم أخرى، وإنما هو محكوم بعبودية الله تعالى ولوازمها.

فالتزام الباحث بمنهج العقيدة الصحيحة يرسم له طريقة التعامل مع الحدث وكيفية معالجته، ودرسه، وأخذ العظة والعبرة منه، ولا يتصور عندئذ أن يخالف أصلاً من أصول العقيدة حين يكتب في تفسير الأحداث وتحليلها، فهو مرتبط بها منطلق فيها؛ إذ الانطلاق

(١) فلا يحتاج إلى أن يعتذر أو يدافع أو يشعر بانزامية لشيء حدث في الماضي إذا خالف مواضع العصر الحاضر؛ كالجهد أو الجزية أو الرق ونحو ذلك.

(٢) إعادة كتابة تاريخ صدر الإسلام، د. أكرم العمري، محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، (ص ٣).

منها هدف وغاية معاً، وكما أن العقيدة محدد منهجي تاريخي، فإن المنهج التاريخي يعتبر من وسائل تثبيت العقيدة والسعي في تطبيقها.

وغني عن البيان أن السيرة ملأى بتصرفات متعددة للنبي ﷺ وهي تصرفات تختلف مقاماتها ومراتبها، والفقيه يتعين عليه أن يفرق بينها عن طريق إدراك مقامات أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ، فتارة تخرج هذه الأفعال من مقام التبليغ وتارة من مقام الإمامة وتارة من مقام الفتيا، وبعضها عام وبعضها خاص، وبعضها ملزم، ومنها ما ليس كذلك، وإذا كان مقام التبليغ عامًّا فإن بقية المقامات ليست كذلك، بل تتوقف على اجتهاد الإمام لارتباط القضاء والفتيا والإمامة بالمصلحة، والمصالح تتغير بحسب الأشخاص والأحوال والأوقات، ونحو ذلك.

وقد صنف القرافي كتابه «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» للتفريق بين منصبي الإمامة والفتيا. ولا شك أن المقام الحالي، والظروف والملابسات التي ترد فيها الحادثة أو الواقعة، وملاحظتها عند محاولة الفهم أو الاستنباط هو ما يعرف عند الأصوليين بدلالة السياق، وعليه فإن دراسة السيرة واستنباط الدروس منها يجب أن يكون بمراعاة سياق الأحداث وسباقها ولحاقها وأثرها في النتائج، ومراعاة الفارق بين مختلف المقامات، والتمييز بين ما يرد عنه ﷺ بوصفه مشرعاً مبلغاً، وما يرد عنه بوصفه إماماً وقاضياً .

ويلتحق بذلك النظر إلى متعلقات أفعاله ﷺ في حياته

وتصرفاته، فمثلاً إذا استعان ﷺ بأدواتٍ معينة فإن ذلك لا يعني بالضرورة وجوبها أو استحبابها، وإنما يدل ذلك على الجواز كاستناده إلى الجذع عندما كان يخطب، أو استلامه الركن بالمحجن، أو الحُمْرة التي كان يضعها فيسجد عليها.

كما يقال مثل ذلك في جنس المواد المستعملة، فإنما يختارها أيضاً بحسب المصلحة، فقد بنى مسجده ﷺ من الطين وسعف النخيل، وفرشه بالرممل أو الحصباء، وكان منبره مصنوعاً من أثل الغابة، فلا يدل ذلك على أكثر من الإباحة ما لم يعلم تخصيص ذلك الجنس لغرض شرعي، فيكون بخصوصه مستحباً، وما سوى ذلك فينظر إلى ما يحقق المصلحة فيعمل به؛ كبناء المسجد الآن بـ(الأسمت المسلح)، وفرشه بالسجاد وغير ذلك^(١).

(١) يراجع أفعال الرسول، د. محمد الأشقر (١/ ٤٥٧).

المبحث السادس :

الحذر من الإسقاط التاريخي عند تفسير الأحداث

والمراد بالإسقاط التاريخي تفسير الأحداث، وتقييم الملابس، لا بما تقتضيه طبيعة الحدث وما احتف به من مناخ إنساني، وإنما النظر إليه من خلال اللحظة الراهنة، وإنزاله على وقائع جديدة، ومتغيرات غريبة عن بيئة الحدث، وبالتالي يجري إخضاع حقائق الموقف التاريخي القديم، لتحكمات العواطف السياسية أو الاجتماعية أو المذهبية الراهنة، أو لتوجهات فكرية معينة، ومن ثم يصار إلى قسر الموقف التاريخي على النطق بما تمليه تلك التحكمات^(١).

وقد شاعت ظاهرة الإسقاط التاريخي في كثير من الدراسات التاريخية المعاصرة، وحاول كل صاحب نزعة فكرية إخضاع حقائق التاريخ لمفاهيم نزعته، غير متحرج أن ينسب إلى رجال التاريخ العظام أفكار مذهبه المبتدع وتقوليات رجاله، فبرزت دراسات تحمل اسم اليمين واليسار في الإسلام، ودراسات تبحث في ديموقراطية واشتراكية الإسلام.

فتاريخ الصحابة فيه يمين ويسار! وتاريخ العقيدة فيه يمين ويسار، وللتمثيل فحسب -والأمثلة كثيرة- يقول صاحب كتاب حياة محمد : «.. فكان من بين أصحاب النبي غلاة في الاشتراكية يجعلون كل ما خلق الله ملكاً مشاعاً ومرفقاً

(١) التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان أمارة (ص ٢٥٣).

عامًا...!!»^(١).

ويقول صاحب كتاب «محمد والقوى المضادة»: «وفي الإسلام دولة مدنية يختار رئيسها من بين المدنيين، ويطلب إليه تطبيق أحكام الدين»^(٢).

وفي كتاب: «السيرة والبحوث الإسلامية» والذي يدرّس بدولة اليمن الجنوبي (سابقًا)، وتحت عنوان «خلافة عثمان بن عفان وانفجار الصراع بين الجناح اليميني والجناح الديموقراطي في الإسلام»: «يعتبر عليّ مؤسس الاتجاه الديموقراطي في الإسلام بينما عثمان حامي الجناح اليميني، وفي عهد عليّ نشط الجدل الفكري الاجتماعي الذي ولّد فيما بعد الاتجاهات الفكرية التقدمية في المدن التجارية الإسلامية: كالشيعية، والخوارج، والقرامطة، والمعتزلة، وإخوان الصفا»^(٣).

ولا يمكن بحال اعتبار هذا إنما وقع بحسن نية أو عن غير قصد، وإنما هو الدسّ والتحريف.

(١) حياة محمد، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط ١٤، (ص ٥٤٢-٥٤٣).

(٢) محمد والقوى المضادة، د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، (ص ٥٢).

(٣) السيرة والبحوث الإسلامية، الكتاب المقرر على الصف الثالث الإعدادي، بدولة اليمن الجنوبي، (ص ٢٤).

المبحث السابع:

الابتعاد عن المجازفة بالأحكام التعميمية

من الأهمية بمكان التآني قبل إصدار الأحكام، لاسيما إذا كانت عامة، أو كانت ممتدة لرقعة زمانية أو مكانية أو أومية واسعة، فلا يطلق حكم عام على أهل بلد أو جنس قبل حصول الاستقرار التام، كما يتعين التآني في التحليل للروايات، واستبعاد النظرة التجزيئية للقضايا أو التسطيح المتعمد للظواهر التاريخية.

فلا يتأتى في منهج العدل أو الإنصاف أن يحكم على مجتمع بالخلاعة من خلال شعرٍ مهتكٍ لرجل أو رجلين، ولا يصلح أن يوصم حكم خلافةٍ إسلاميةٍ بالظلم لوجود حاكم ظالم أو حاكمين من بين حكامها.

ولا يدمغ مجتمع بالزندقة لوجود طائفة عرفت بذلك فيه، كما لا يحكم على فرد بمجرد انتسابه إلى فئة، «والله يحب الإنصاف؛ بل هو أفضل حلية تحلّى بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]»^(١).

ومن نواقض الإنصاف أن يحكم على شخص في مرحلة معينة من تاريخ حياته، فمن حكم على أبي الحسن الأشعري -مثلاً- في أول أمره قال عنه: كان معتزليًا، ومن حكم عليه في المرحلة الثانية قال عنه: كان ملقبًا، في حين أنه كان آخر أمره سلفيًا!!

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٣/ ٩٤).

ولا يعارض هذا ما تقرر من أن الحكم على الناس في الدنيا بحسب ما يظهر منهم من غير أن يفتش في بواطنهم، فمن كان ظاهره الإيمان حكم له به، ومن كان ظاهره خلافه حكم عليه به، والمعتبر في ذلك آخر أمر المكلف وخاتمة حاله، والقاعدة أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولى السرائر^(١).

«ومن نواقض الإنصاف في الأحكام: إغفال القرائن المحتفة بالأخبار، قبل قبولها أو ردها، فرب قائل كلمة حق أراد بها محض الباطل، كما قال عليّ (عليه السلام) للخوارج»^(٢).

قال ابن القيم: «والكلمة الواحدة يقولها اثنان يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه وينظر عنه»^(٣).

تَقُولُ هَذَا جَنَى النَّحْلِ تَمْدُحُهُ وَإِنْ شَتَّ قَلْتَ ذَا قِيءِ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَنَحْمًا وَمَا جَاوَزْتَ وَصَفَهَا وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

فتعين على المؤرخ والمحلل لأحداث السيرة النبوية ومواقف الصحابة أن يتحلَّى بالعلم والعدل والإنصاف في الأحكام، وترك التعميم قبل الاستقراء التام.

(١) شرح مسلم، للنووي (١٧/٢).

(٢) الإحكام في قواعد الحكم على الأنام، د. محمد يسري، دار اليسر، ط ٣، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، (ص ١٥).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، (٣/ ٥٢١).

المبحث الثامن:

استعمال المصطلحات الشرعية والصحيحة

إن المصطلحات الشرعية هي قوالب صحيحة للمعاني المستقيمة التي يراد التعبير عنها، والمصطلحات الشرعية سواء أكانت عقدية، أم فقهية، أم غير ذلك لها دلالتها الخاصة والثابتة والمهمة في تقييم الأحداث والأشخاص.

والعدول عن تلك المصطلحات مغامرة لا تحمد عواقبها، واستبدالها يعني وقوعاً في أسر مصطلحات غريبة عن ثقافة الإسلام وعقيدته؛ إذ المصطلحات بالجملة لها دلالتها التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تترجم عن حال المجتمع الذي خرجت منه.

والبحث عما يقابل أو يناظر مصطلحات أهل الإسلام عند غيرهم بحث لا تتحقق فيه الصراحة والموضوعية، لما ذكرنا من خلفيات الاصطلاح وإشكالياته الحضارية، فإلباس الشورى الإسلامية لباس الديمقراطية الغربية عبث يقترب من التحريف المعنوي.

والزعم بأن الاشتراكية الشيوعية تُرادف التكافل الاجتماعي تلبس وتشويه وتلوّث للمنهج الإسلامي.

ومثل هذا يقال في الشيوعية، والديكتاتورية، والليبرالية، وغيرها.

فالناس في الاصطلاح الشرعي: مؤمن وكافر؛ قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وأهل الإسلام: مؤمن وفاسق، والمواقف والأعمال: طاعات ومباحات ومعاصي، ومنها خير ومنها شر، ومنها حق ومنها باطل، وفيها عدل وفيها ظلم، وفيها ما يُقبل وفيها ما يُرد.

على أن هناك مصطلحات لا تحمل إلا مفاهيم مغلوطة، ولا تعطي إلا مضامين مرفوضة، وإن بدت ذات بريق خداع.

فإن تقارب الأديان، وزمالة الأديان، والوحدة العالمية، والمساواة والإخاء، والحرية، والعدالة، وغيرها حين يطلقها ويستعملها مدخول العقيدة، أو من يوصم بالكفر، فإنها لن تحمل لأمة الإسلام خيرًا.

فلا ينبغي أن يجارى القوم في كلامهم واصطلاحهم، أو يحملنا الانبهار بما بين أيديهم من الدنيا أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، أو أن ننظر إلى أنفسنا على أننا عالم متخلف وأولئك هم العالم المتقدم المتحضر؛ إذ الحضارة إنما تقوم بمدى خضوعها لمنهج الله، وعبادة أصحابها لله دون سواه، وليست الحضارة منجزات مادية فحسب، حتى تصبحها منجزات معنوية في جانب الدينونة الحققة لله تعالى، وتهيئة الظروف المختلفة لعبادة الله دون شريك.

وعليه فإن استعمال المصطلحات الشرعية عند إعادة صياغة التاريخ الإسلامي ضروري جدًا للحفاظ على استقلال التصور والمنهج الإسلامي وإبراز هويته، بالإضافة إلى أن المصطلحات الشرعية

أوضح وأدق من المصطلحات الغريبة^(١)، وبهذا تتضح ضرورة استعمال المصطلحات الشرعية في تدوين السيرة النبوية الشريفة باعتبارها أهم وأشرف فترات مراحل التاريخ الإسلامي، وأن هذا الأمر من أهم القواعد والضوابط في منهج تدوين السيرة النبوية الشريفة.

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/٣٨).

الفصل الخامس

قواعد وضوابط في العرض وأساليبه

تمهيد :

إن وسائل وأساليب عرض السيرة من الأهمية بمكان لارتباط ذلك بصورة مباشرة بالقبول والانتفاع وحصول الأثر، وتقديم العبرة وتقريب العظة، وترشيد السلوك وضبط القدوة، وتغيير الواقع. ولا شك أن دراسة السيرة النبوية ترتبط في حس كل مسلم برسول الله ﷺ شخصياً، وبالدرجة الأولى، كما تتصل في حس المسلم بعقيدته التي بها يعتز، وبخير القرون الذين بهم يقتدي ويأسي. وفيما يلي بعض الضوابط التي يطلب الانضباط بها لدى عرض السيرة عرضاً تجديداً معاصراً.

المبحث الأول :

التركيز في العرض على الأهداف والمقاصد الإسلامية

أيّ ما كانت وسائل العرض المتجددة وأساليبه المتنوعة فإن على من يقدم سيرة النبي ﷺ للعالم أن يرمى مقاصد مهمة، وأن يحقق غايات نبيلة من وراء ذلك العرض.

فلا بد من الارتباط بعقيدة التوحيد والارتكاز على قاعدة الإيمان، والانطلاق نحو ترسيخ ثوابت الدين، بحيث يتحقق متلقي السيرة من عظيم أثر الأنبياء عامة ونبينا ﷺ خاصة، ويحسن تلقي عقيدة القضاء والقدر، ويؤمن بها على وجهها الصحيح، وترسخ لديه أنها لا تعني ترك التكليف الشرعية والأسباب المقدورة، وإنما تعني الاجتهاد في تحصيلها والسعي الدؤوب في إقامتها من غير اعتماد عليها، وأنه لا يحل لأحد أن يحتج بالقدر في المعاييب، وإنما يذكر عند ورود المصائب، فيتوب من صنوف المعاييب، ويصبر عند ورود المصائب فيكون ممن ينازع أقدار الله تعالى بأقداره تعالى فينازع قدر الفقر والعوز - على سبيل المثال - بقدر السعي والكسب، وهكذا. وهذا - لا شك - يعمل على إنهاض الأمة من كبوتها، وإفاقتها من غفوتها.

وينبغي على المجدّد في عرض السيرة أن يجدد عقيدة الإيمان بالغيب في قلب متلقيها، بحيث يوقن في الجهاد مثلاً أن المسلم إذا بلغ من الأسباب جهده واستفرغ في تحصيلها وسعه ثم نازل عدوه، فإن الله تعالى معه، وأنه سبحانه ناصره بجنود يعلمها

ويراها، وأخرى يعلمها ولا يراها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿[الأحزاب: ٩]، وأن الله تعالى يمد أوليائه بمدده في كل زمان ومكان، وأن النصر محكوم من حيث الأصل بسنن الله الجارية، وإن كانت سنن الله الخارقة لا تمتنع بإذن الله.

وصاحب منهج التجديد عليه أن يرعى في كل ما يقدمه في السيرة النبوية وغيرها من تاريخ أهل الإسلام إظهار قيمة الخير وتحبيبه، ومحاربة الشر وتبغيضه، وذلك بمقاييس الحق والعدل، وبميزان شرع الله تعالى.

كما ينبغي عند العرض الحرص على ما توثق من الأخبار وما يفيد من التفصيلات، وأما البحث عن تفصيلات لا فائدة منها في السياق التاريخي، ولا يترتب على تكلف العلم بها نفع تربوي أو سلوكي، فإنه يجب ألا يشغل المجددين في عرضهم لأحداث السيرة النبوية إلا فيما لا بد منه لربط أحداث السيرة أو ملء الفجوات بين الأحداث، وأن يستفاد من منهج القرآن حين يعرض عن ذكر التفصيلات في السياقات المختلفة حيث لا مصلحة من بحثها أو الفحص عنها.

وقد علم القرآن في مثل ذلك: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

المبحث الثاني :

الاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة النبوية

إن التفنن في عرض السيرة النبوية من خلال دراسات نوعية على غرار ما قدمه ابن القيم في «زاد المعاد في هدي خير العباد» هو من أعظم ما يمكن عرض السيرة النبوية من خلاله. وذلك لمسيس الحاجة إلى عرض منهج النبي ﷺ في مختلف المجالات الاجتماعية والشرعية.

وهذا العرض يهّج على القدوة، ويدعو إلى الأسوة، علاوة على سهولته وملاءمته لأهل هذا الزمان.

ويمكن اعتبار هذا اللون من الدراسات في السيرة النبوية نوعاً جديداً يمكن أن يصطلح عليه باسم «السيرة الموضوعية»، حيث يعتمد الباحث إلى جمع مواقف النبي ﷺ في السيرة حول موضوع ما من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وكتب التاريخ والسير الصحيحة والأشعار الموثقة، وسائر المصادر المعتبرة ثم يرصفها وينظمها سلكاً تربوياً قصصياً وعظيماً رائعاً.

حيث يمكن أن تقدّم موسوعة ثرية في السيرة الموضوعية، تقدم أبحاثها بعناوين شائقة نحو: (فقه الحياة في السيرة النبوية)، و(معالم السلوك الحضاري من سيرة النبي ﷺ)، و(السيرة النبوية وفقه مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(مقومات بناء الإنسان من خلال السيرة)، (العرض الدعوي للسيرة النبوية).

على أنه سبق التنويه ببعض الدراسات المعاصرة التي عنت بأحواله
ﷺ وأعماله وخصاله وخلالها في السيرة النبوية، فهذا يكتب «النبى
باسمًا» وذلك يعرض «مواقف بكى فيها النبى ﷺ»، وآخر يضيف
«النبى الكريم معلمًا» ورابع «النبى مربيًا»، وهكذا.

فإذا اجتمعت لهذا الأمر هيئة معنية وجهة مرضية بإمكانات قوية
أمكن - بإذن الله - تقديم هذا المشروع العلمى التربوي في سيرة النبى
ﷺ.

المبحث الثالث:

تحقيق البلاغ المبين بعرض سيرة النبي الأمين

إذا كان من أول مهمات النبي الأمين ﷺ البلاغ المبين عن رب العالمين، فإنه ﷺ قد أدّى هذا البلاغ بقاله وحاله وفعاله، وقد حفظت كلماته ﷺ وبقيت سيرته تهدي للتي هي أقوم.

وإن من البلاغ المبين عن النبي الأمين ﷺ أن تبلغ سيرته محملة برسائل الدعوة لغير المسلمين؛ ذلك أن سيرته ﷺ معجزة إعجاز ما جاء به.

قال ابن حزم : «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله حقاً، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى»^(١).

أقام الله ببعثته الحجة، وأظهر بسيرته المحجة، فإنه ﷺ تغيرت عليه الحوادث وتجددت عليه المواقف، فما لينت الشدائد له صلباً، ولا وهنت المكائد له عزمًا، لم تزل نفسه الشريفة ﷺ عن الدنيا راغبة، ومدامع عينه لم تبرح متفرقة، تمكن من الدنيا فلم تتبدل له سيرة ولم تتغير له خليقة، فهو أصدق الخلق لهجة، وأعدلهم طريقة، دلائل نبوته زادت على الحد، وشمائله لا يأتي عليها العد، أجرى الله تعالى على يديه الآيات البواهر، والتي على مثلها آمن الغائب والحاضر، وخصه الله

(١) جوامع السيرة، لابن حزم (ص ٢).

تعالى بمعجزة الدهر وشعار الفخر؛ القرآن الكريم مضى عليه أربعة عشر قرناً من الزمان وإعجازه جديد، وهرم شباب الزمان ورواقه إلى مزيد، أعلى الله به منار التوحيد، وأصلح بهدايته أحوال العبيد^(١).

فيتعين على مرید التجديد أن يعرض هذه السيرة لغير المسلمين عرضاً يناسب الجاهل ليعرف، والعارف ليقن، والمعاند ليرعوي، عرضاً يحبه ﷺ إلى القلوب، ويحلي محاسن أخلاقه للخلائق، ويقطع ألسنة قالة السوء.

وينبغي أن يكون هذا العرض في مستويات متعددة ومتدرجة مع حرص على تحقيق البلاغ بحقائق الدين، ومقاصد الشريعة، والسلوك النبوي الحضاري.

وهذا هو الخطاب العام العالمي الذي يبني في القلوب محبة النبي الرحيم الكريم الحليم ﷺ .

(١) درة البيان في أصول الإيمان، د. محمد يسري، ط ٤ دار اليسر، القاهرة، (ص ٥٠-٥٣).

المبحث الرابع:

الإفادة المنضبطة من وسائل الإعلام والتقنية المعاصرة

يتميز هذا العصر بأنه عصر الانفتاح الإعلامي وثورة الاتصالات، ومهما قيل عن أهمية الوسائل التقليدية في الدعوة إلى الله، فإن الوسائل المستجدة في عالم اليوم من البث الفضائي والشبكة العنكبوتية تفوق كل وسيلة، وتسبق كل طريقة، مميزات كثيرة، ومنافعها عديدة، فهي أعمق أثرًا في كل نفس، وأسهل وصولًا إلى كل بيت، فتح الله بها مغاليق قلوب كثيرة.

وتوظيف الإعلام في عرض سيرة النبي ﷺ أمر متحتم، وأشكال هذه الاستفادة كثيرة ومتنوعة، فمن برامج تفاعلية وحوارية إلى دروس ومحاضرات علمية، ومن حلقات روائية إلى أفلام وثائقية، ومن تصوير لمواقع الغزوات وأماكن الأحداث إلى ما لا يتناهى من البرامج والمواد الإعلامية.

والحاجة ماسة إلى محطة فضائية وأخرى أرضية تعنى بالسيرة النبوية من مختلف جوانبها، وترسل رسائلها باللغات الحية، وتبث إلى الدنيا بأسرها، وتعرض برامجها على صفحات الشبكة العنكبوتية، ليبقى أثرها، وليستمر عملها.

وينبغي في تلك البرامج أن تناسب كل الفئات، وترضي جميع المتابعين، وتحقق أكبر قدر من التعريف بنبي الإسلام وسيرته، وخصائصه وشأنه، وتجدد الثقة والقُدوة في أصحابه ﷺ.

ولا يفوت تنبيهه على أهمية الانضباط بالضوابط الشرعية الحاكمة للأعمال الإعلامية، مما يمكن تسميته باصطلاح معاصر اليوم بفقه الإعلام الإسلامي.

وقد نبّهت -على سبيل المثال- فتاوي علماء الإسلام حديثاً على حرمة تمثيل الأنبياء عامة، وأصحاب نبينا ﷺ، مع الانضباط بالضوابط التي أباح معها التمثيل لدى بعض العلماء^(١)، وحذرت من ألوان من مخالفات الموسيقى والغناء، ومنعت من كل اختلاط مستهتر بين الرجال والنساء.

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (ص ٣٢٥-٣٣١).

المبحث الخامس:

تتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد

لا تزال ذاكرة التاريخ تحفظ أن يوحنا الدمشقي (ت: ١٣١هـ) قدّم كتابه «المهرطقة»، يهاجم فيه النبي ﷺ وسيرته، زاعماً أن القرآن من وضع بحيرا الراهب وبمساعدة من النبي ﷺ الذي أخذ عن ورقة بن نوفل، وكان قسّاً يترجم الأنجيل المحرفة إلى العربية !! إلى آخر هرطقته.

وفي سياق العصور الوسطى قال بيدرو باسكال: «إن المصادر الإسلامية تفيد بأن راهباً مرتدّاً عن النصرانية يقال له بحيرا رأى محمداً، وقربه إليه وعلمه الدين المحرف، وحذر عمه أبا طالب من أن يصيبه اليهود بسوء، وسرعان ما تعلم محمد أمور الرهينة وانقطع للتنسك بجبل في مكة مهيناً نفسه لتزوير كتاب ديني يزعم أنه أوحى إليه!»^(١).

وعلى هذا المنوال نسج البريطاني جون مانفيلد الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، ومثله مارتن لوثر رأس الكنيسة البروتستانتية.

وإمعاناً في الإفك ذهبت دراستان ألمانيتان معاصرتان إلى أن الأوربيين قد ادعوا «أن محمداً ﷺ كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في

N. Daniel, Islam and the west: The making of an an image, Edinburgh university (١) press Edinburgh, 1966, p.232.

الشرق انتقامًا من الكنيسة!!»^(١).

وهكذا كان جوته الألماني وفولتير الفرنسي، ولا تزال لوحات كنسية تنتشر في بلجيكا وإيطاليا وغيرها تعرض صورًا مزعومة للنبي ﷺ وهو يعذب في النار!^(٢).

وبكل حال فإن «ما يساق في عالم اليوم من الشبهات والافتراءات على أيدي قسس وسياسيين ومفكرين معاصرين وإعلاميين أكثر من أن يذكر أو أن ينقل.

وتكفي في هذا الصدد مطالعات سريعة لمحطات البث النصراني، والجامعات الأصولية المسيحية، ومواقع الإفك الإلكتروني، وما ييشه أمثال بات روبرتسون^(٣)، وفرانكلين جراهام^(٤)،

(١) صورة الإسلام في التراث الغربي هوبر هيركومر، وجيرنوت روتر، ترجمة ثابت عيد وتقديم د. محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩ (ص ١٨-٢١).

(٢) التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية، د. محمد يسري، ط ٢ دار الصفوة، القاهرة، (ص ٤٤، ٤٥).

(٣) بات روبرتسون: قسيس إنجيلي معروف بتأييده المطلق لإسرائيل، يمتلك عددًا من المؤسسات الإعلامية، كما يمتلك محطة فضائية، وهي محطة: البث النصراني Christian Broadcasting، والرجل يقف خلف إنشاء أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري.

(٤) فرانكلين جراهام: هو ابن القسيس الأمريكي المشهور بيلي جراهام، حيث عمل قسيسًا خاصًا للرؤساء الأمريكيين منذ عهد ريتشارد نيكسون، وحتى الرئيس السابق بيل كلينتون، وقد تولى فرانكلين نفس المهام بعد تقاعد الأب حيث قام بالمراسم الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي جورج بوش، إضافة إلى

وجيري فاينز^(١)، وجيري فالويل^(٢)، وأخيرًا بابا الفاتيكان^(٣)!!^(٤).

فإذا ما وقفنا على الأسباب الدينية والفكرية والثقافية والتاريخية والنفسية علمنا كل العلم أنه لا سبيل ترجى لمنع هذه الافتراءات وإيقاف تلك الشبهات، وأنه لا مناص من التصدي لها بالحجة والبرهان.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وإذا كان هذا حديثًا عن الغرب فإن الشرق النصراني له نصيب من

توليه كافة المسؤوليات الكنسية التي أنشأها أبوه، كما تعد كنيسة من أكبر الكنائس الأمريكية عددًا وتأثيرًا.

(١) جيري فاينز: راعي كنيسة في ولاية فلوريدا، وهو من أبرز المتحدثين الأمريكيين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، وقد صدرت منه إهانات بالغة للنبي ﷺ بمحضر الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، الذي لم يصدر منه أي تعليق على هذه الإهانات، بل اعتبره من المتحدثين بصدق عن دينهم.

(٢) جيري فالويل: قسيس إنجيلي معروف بولاية فرجينيا الأمريكية، يملك جامعة خاصة أصولية، وله برنامج إذاعي وتلفزيوني أسبوعي، يهاجم فيه النبي |، كما أنه يروج من خلال موقعه الإلكتروني لكتاب «فلنتقدم إلى معركة هرمجدون»، وهي معركة نهاية التاريخ في معتقدات الإنجيليين.

(٣) بابا الفاتيكان «بينيديكت السادس عشر»: هو أعلى رمز ديني في الغرب المسيحي وقد اختار الرجل أن تكون مقدمة محاضراته التي ألقاها في جمع من العلماء الألمان في جامعة ريغنسبرج هجومًا صريحًا على نبي الإسلام، حيث قال: «أرني ماذا قدم محمد من جديد؟ وسوف لن تجد إلا أمورًا شيطانية وغير إنسانية».

(٤) التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية، د. محمد يسري (ص ٤٥، ٤٦).

الكيد، فهذه قنوات عدّة تبث سموم التنصير الذي لا يقوم إلا على الوقعة في النبي ﷺ والتقص لشخصه الكريم وسيرته العطرة ومن أسوأ الأمثلة ما يبثه القسّ (زكريّا بطرس) أخزاه الله على قناة الحياة وغيرها.

ولا ريب أن إنشاء منظمات ومؤسسات عالمية كمنظمة النصره وغيرها للدفاع عن أنبياء الله قاطبةً والتعاون في هذا الصدد مع عقلاء المخالفين في أصل الدين مما يدفع به في نحر هذه الحملات الظالمة. وأن إنشاء مراكز للترجمة الواعية المنضبطة وفق منهجية تراعي السياقات الزمنية والحضارية سيسهم بشكل كبير في تجلية الحقائق، ويرد على الافتراءات.

كما يقترح تنظيم حملات إعلامية مضادة في مختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وإطلاق عدة مواقع إلكترونية للرد بمختلف اللغات، وتخصيص المصطفى ﷺ بنصيب مستقل من ذلك. ولا مانع من مد جسور التواصل مع المنصفين من الغربيين أو غيرهم لعقد حوارات وندوات مشتركة في الرد على المعتدين.

المبحث السادس :

العناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات

إن المقارنة التاريخية والحضارية بين العهد النبوي ومتعلقاته وسائر عهود البشرية - لمن أقوى وسائل التأثير في النفس البشرية، فإن نظرة فاحصة - على سبيل المثال - لتاريخ الحرب لدى سائر الأمم من حيث أسبابها ونتائجها، ومقارنتها بالغزوات والسرايا النبوية، سوف يكشف بوضوح وجلاء عن سمو الهدي النبوي، وعلو المنهج المحمدي على سائر المناهج.

ثم إن دعم هذه الدراسات المقارنة بإحصائيات عديدة والمقارنة مرة أخرى بين هذه الإحصائيات الرقمية، وتحليل النتائج تحليلًا علميًا سوف يكشف عن حقائق مذهلة.

فعلى سبيل المثال قد يقال: إن عدد الغزوات بلغ سبعمائة وعشرين غزوة، وعدد السرايا بلغ ستاً وخمسين سرية مات في جميعها من المسلمين والمشرّكين بضع مئات فقط!

وبمقارنة هذه الأرقام بحروب عالمية كالحريرين العالميتين أو بحروب عرقية؛ كما فعل الأمريكيون البيض بالهنود الحمر سكان البلاد الأصليين، أو حروب دينية كالتي شنّها الأمريكيون على أفغانستان أو العراق، فإن النتائج ستبدو مذهلةً مفاجئةً يندى لها جبين الإنسانية التي تبحث اليوم عن حقوق الإنسان!!

وما المانع أن تُبحث حالات العدوان على المرأة في السيرة

النبوية وأن تقارن إحصائياً ونوعياً بحالات العدوان عليها في تلك الدول الصناعية المتقدمة؟!!

وكيف ستكون النتيجة عند إجراء إحصاء عددي عن حالات الانتحار في عهده ﷺ وحالات الانتحار في دولة من تلك الدول العظمى البائسة المتغطرة؟!!

وما هو المتوقع لدى مقارنة عدد حالات الإساءة إلى الأطفال أو الاعتداء عليهم في عهده ﷺ وفي عهد دولة عظمى -بزعمهم- تتشدد برعاية الطفولة؟!!

إنه جزماً وبكل تأكيد ستشرق شمس الهداية النبوية على أهل هذه القرون كما أشرقت -أول الأمر- على الجاهلية الأولى فبددت ظلمتها، وهذت حيرتها.

وهكذا سيُسهم هذا العرض التجديدي في إبراز الوجه الحضاري للعهد النبوي.

الخاتمة

في نهاية هذه الورقات يطيب التأكيد على بعض ما ورد في أثناء البحث، واقتراح ما من شأنه أن يدفع في اتجاه التجديد بشكل سديد، وذلك على نحو ما يلي:

أولاً: إن مفهوم تجديد عرض السيرة يجمع في طيَّاته بين نفي أحداث تستنكر روايتها أو مواقف منحرفة لا تصح عن أصحابها، أو مناهج تشذ في تفسير أحداثها ومعجزاتها، كما يجمع إلى ذلك إظهار السمات الأكمل للنبي المبجل ﷺ، وهدى خير الخلق؛ ليكون نبراس هدى في معالجة واقع العصر ومعضلاته.

ومن التجديد آخرًا تيسير لغة عرض أحداثها، والإفادة من معطيات التقنية والإعلام في تعظيم التفاعل معها والانفعال بها.

ثانيًا: برهن البحث على دقيق عناية المصنفين في السيرة النبوية، وعرض لجوانب من المقارنة بين منهجي المحدثين والمؤرخين في تدوين السيرة، كما كشف البحث بجلاء عن التميز المنهجي لدى علماء الإسلام في هذا الجانب مقارنة بالمنهج والتراث الغربي في المجال التاريخي.

ثالثًا: عرض البحث للملاحظات في جانبي التوثيق والتفسير للروايات التاريخية عند المؤرخين، ثم عرَّج على أمثلة أخرى عند المعاصرين من المستشرقين ومن المتأثرين بمنهجهم،

تمهيداً للعناية بتلافيها لدى العرض التجديدي للسيرة النبوية.

رابعاً: تناول البحث أهم مقاصد وأهداف التجديد في تدوين السيرة، فأكد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة، والاهتمام بالقراءة الاستنباطية عن السيرة النبوية، والعناية بالتربية على مائذتها، وإحياء فقه السنن الربانية، والإفادة من الجوانب الحضارية في السيرة النبوية، وتقوية التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله، وتعظيم قدر الصحابة ومعرفة فضلهم.

خامساً: كما حدد البحث جملة من ضوابط التدوين وأسلوب الكتابة، وأكد على تفسير الأحداث وفقاً للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي، وحذر من الإسقاط التاريخي المتعسف عند تفسير الأحداث، واجتناب المجازفة بالأحكام التعميمية، كما أكد على أهمية استعمال المصطلحات الشرعية لدى الكتابة، والابتعاد عن المصطلحات غير الصحيحة أو الدقيقة.

سادساً: ومن ضوابط العرض: التركيز على المقاصد الإسلامية، والاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة، وتحقيق البلاغ المبين من خلال عرض السيرة، والإفادة المنضبطة من وسائل التقنية والإعلام، وتتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد، والعناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات.

سابعاً: ومن جملة ما يقترح من مشاريع تخدم التجديد في العرض ما يلي:

١- كتابة السيرة من مصادرها المعتمدة وهي القرآن وتفسيره وعلومه، والسنة النبوية الصحيحة وعلومها، وأشعار الصدر الأول الموثوقة، وأخبار أهل السيرة المعتمدة، وتقديم رواية تاريخية من خلال هذه المصادر الأصلية.

٢- إنشاء مشروع للسيرة الموضوعية، وذلك بغية الكشف عن تلك الجوانب الحضارية في السيرة النبوية وربط ذلك أيضاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

٣- إعداد مدونة يومية للسيرة النبوية وأحداثها فإن لم يتيسر فمدونة شهرية، لترتيب الأحداث والوقائع في سياقها الاجتماعي والسياسي والتشريعي والعسكري في آن واحد.

٤- إجراء دراسة سُنيّة في سيرة خير البرية ﷺ من خلال آيات وأحاديث السنن الاجتماعية ووقائع السيرة الصحيحة.

٥- تحرير ببلوغرافيا وتحديثها سنوياً بالمؤلفات في السيرة النبوية والدراسات الجامعية والعلمية وثيقة الصلة بصاحب السيرة ﷺ، وتعميمها على مراكز البحوث، والجامعات، والمعاهد المتخصصة، في الشرق والغرب للإمداد بما يخدم الجهود ويرشد الأعمال العلمية ويحسن توجيهها.

٦- العناية بالدراسات النوعية في السيرة النبوية، والتي تبرز جوانب من العلوم التربوية والسلوكية والاجتماعية، وضوابطها العلمية في السيرة النبوية.

٧- إطلاق محطة فضائية تعنى بعرض السيرة النبوية بمختلف

- اللغات الحية، وترسل رسائلها لتغطي العالم بأسره.
- ٨- إنشاء كراسي علمية في الجامعات الغربية للسيرة النبوية خاصة، ودعم المعاهد والأكاديميات الشرعية في غير بلاد المسلمين.
- ٩- مراجعة المناهج التعليمية في تلك البلاد الغربية من حيث ما يكتب ويدرس فيها عن الإسلام ونبيه ﷺ ، والعمل على تنقيتها من شوائبها، وتقديم البدائل الصحيحة، وطرح المسابقات المتميزة في إعداد هذه الكتب والمناهج التعليمية.

مراجع ومصادر البحث

١. اختصار علوم الحديث، لابن كثير مع شرحه الباعث الحثيث، ت: أحمد محمد شاكر، دار التراث، ط ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
٢. إعادة كتابة تاريخ صدر الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة.
٣. إعلام الموقعين، لابن القيم، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ط ١٩٧٣م.
٤. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٩هـ.
٥. الإحكام في قواعد الحكم على الأنام، د. محمد يسري، دار اليسر، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٦. الاستشراق، لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت .
٧. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي، ت: د. أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٨. البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩. التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٠. التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية، د. محمد يسري، ط ٢
دار الصفوة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، القاهرة.
١١. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي،
ت: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣.
١٢. الحداثة في ميزان الإسلام، د. عوض القرني، ط دار الأندلس
الخنساء، جدة.
١٣. الروض الأنف، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء
التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
١٤. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة
العلوم والحكم ط ٦، ١٤١٥هـ.
١٥. السيرة النبوية في القرآن الكريم، د. عبد الصبور مرزوق، دار
الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤٠٦هـ.
١٦. السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، ط ١،
١٩٨٨م.
١٧. السيرة النبوية، لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار
التراث - القاهرة.
١٨. السيرة والبحوث الإسلامية، الكتاب المقرر على الصف
الثالث الإعدادي، بدولة اليمن الجنوبي (سابقاً).
١٩. الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت،
ط ١، ١٩٦٨م.
٢٠. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، للدكتور يوسف القرضاوي،

- ط ٢، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٢٤هـ.
٢١. الفهرست، لابن النديم، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٢. الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، الخطيب البغدادي، ت: إبراهيم بن مصطفى آل بحبح، دار الهدى، ط ١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٢٣. المختصر في علم التاريخ، نشره روزنثال، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، بغداد مكتبة المثنى، ١٩٦٣م.
٢٤. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٥. تاج العروس، للزبيدي، ط الكويت.
٢٦. تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤.
٢٧. تاريخ التمدن الإسلامي، لرجي زيدان، مكتبة الحياة بيروت، ط ٢.
٢٨. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي، ط ١.
٢٩. تجديد الدين، مفهومه، وضوابطه، وآثاره، للدكتور محمد حسانين، نشر جائزة نايف بن عبد العزيز، ط ١، ١٤٢٨هـ.
٣٠. تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣١. تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم، ط دار الدعوة، الإسكندرية ١٤٠٣هـ.
٣٢. تهذيب التهذيب، لابن حجر، حيدرآباد، ط ١، ١٣٢٥هـ.
٣٣. تهذيب الكمال، للمزي، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٣٤. جوامع السيرة، لابن حزم، بتحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، القاهرة، ط ١.
٣٥. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ٤، ١٤٠٥.
٣٦. حياة محمد، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط ١٤.
٣٧. دراسات في السيرة، لمحمد سرور بن نايف، دار الأرقم، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٨. درة البيان في أصول الإيمان، د. محمد يسري، ط ٤ دار اليسر، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، القاهرة.
٣٩. ديوان ابن الرومي، بتحقيق حسين نصار، دار الكتب المصرية ١٣٩٧هـ القاهرة.
٤٠. سبل الهدى والرشاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٤١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة

الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

٤٢. سيرة ابن إسحاق، تحقيق د. محمد حميد الله، المقدمة: طبعة
معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالملكة المغربية،
١٣٩٦هـ.

٤٣. صورة الإسلام في التراث الغربي هوبر هيركومر، وجيرنوت
روتر، ترجمة ثابت عيد وتقديم د. محمد عمارة، دار نهضة مصر،
القاهرة، ١٩٩٩.

٤٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس
الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٤٥. عيون الأثر، لابن سيد الناس، مؤسسة عز الدين للطباعة
والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٦. فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ.

٤٧. فتح المغيـث، للسـخاوي، ت: د. عبد الكريم الخضير، ود.
محمد الفهيد، دار المنهاج - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.

٤٨. في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.

٤٩. فيض التقدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥٠. قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين، للسبكي، ضمن
أربع رسائل في علوم الحديث، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة
المطبوعات الإسلامية بحلب.

٥١. كتاب المجروحين، لابن حبان، ت: محمود إبراهيم زايد، دار

الوعي، حلب.

٥٢. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١.

٥٣. مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٥٤. مجموع الفتاوي، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط ١، ١٣٩٨هـ.

٥٥. محمد والقوى المضادة، د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية.

٥٦. مدارج السالكين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٥٧. مراتب الإجماع، لابن حزم، ت: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٨. مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، د. ياسر محمد نور، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنّة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥٩. مصادر السيرة النبوية، عبد الرزاق إسماعيل هرماس، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنّة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦٠. مصادر السيرة وتقويمها، د. فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٤١٠هـ.

٦١. معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ط ٣، دار اليسر، القاهرة،

١٤٢٩هـ.

٦٢. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ط ١، ٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٣. مقدمة كتاب «تخريج الدلالات السمعية» تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٢م.

٦٤. من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

٦٥. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، جامعة محمد بن سعود، ت: محمد رشاد سالم، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٦٦. منهج دراسة التاريخ الإسلامي، محمد أمزون، دار طيبة الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.

٦٧. منهج كتابة التاريخ، د. محمد بن صامل السلمي، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٨. موجز تجديد الدين وإحيائه، لأبي الأعلى المودودي، ط ٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م.

٦٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ت: علي محمد البجاوي، ط دار المعرفة، بيروت .

70- N. Daniel, Islam and the west: The Making of an image, Edinburgh university press, Edinburgh, 1966, p.232.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
---------	--------

مقدمة	٣
الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات	٩
المبحث الأول: مفهوم مصطلح التجديد	٩
المبحث الثاني: مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها	١٦
المبحث الثالث: مفهوم تجديد عرض السيرة	٢٢
المبحث الرابع: أضواء على مصادر السيرة في ظل تجديد العرض	٢٤
الفصل الثاني: جوانب من الخلل في كتابة وعرض السيرة النبوية قديماً وحديثاً	٢٩
المبحث الأول: بين منهجي المحدثين والمؤرخين	
في تدوين مرويات السيرة وقبولها	٣٥
المبحث الثاني: نماذج من الخلل في جانب الرواية	
والدراية في مرويات السيرة	٣٨
المبحث الثالث: نماذج من الخلل في جانب تفسير الحوادث والحكم عليها	٤٨
الفصل الثالث: مقاصد تجديد عرض السيرة	٥٥
المبحث الأول: التأكيد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة	٥٦
المبحث الثاني: العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية	٥٨
المبحث الثالث: التربية بالقدوة على مائدة السيرة النبوية	٦١
المبحث الرابع: إحياء فقه السنن الربانية	٦٣
المبحث الخامس: الاستفادة من الجوانب الحضارية في السيرة	٦٧
المبحث السادس: التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله	٧٠
المبحث السابع: تعظيم قدر الصحابة ي ومعرفة فضلهم	٧٣

المبحث الثامن: تجديد العرض والبيان بالإفادة من معطيات الزمان.....	٧٧
المبحث التاسع: تقديم السيرة النبوية الكاملة.....	٧٩
الفصل الرابع: قواعد وضوابط في منهج التدوين.....	٨٣
المبحث الأول: العناية بالمصادر الشرعية الصحيحة وتقديمها.....	٨٤
المبحث الثاني: اتخاذ الموقف الصحيح من المصادر الأخرى.....	١٠٠
المبحث الثالث: الجمع بين المناهج المنضبطة والعلوم المترافدة.....	١٠٥
المبحث الرابع: التأكيد على المعجزات النبوية جميعاً مع الدلائل والخصائص والشئائل.....	١٠٧
المبحث الخامس: تفسير الأحداث وفقاً للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح.....	١١٠
المبحث السادس: الحذر من الإسقاط التاريخي عند تفسير الأحداث.....	١١٦
المبحث السابع: الابتعاد عن المجازفة بالأحكام التعميمية.....	١١٨
المبحث الثامن: استعمال المصطلحات الشرعية والصحيحة.....	١٢٠
الفصل الخامس: قواعد وضوابط في العرض وأساليبه.....	١٢٣
المبحث الأول: التركيز في العرض على الأهداف والمقاصد الإسلامية.....	١٢٤
المبحث الثاني: الاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة النبوية.....	١٢٦
المبحث الثالث: تحقيق البلاغ المبين بعرض سيرة النبي الأمين.....	١٢٨
المبحث الرابع: الإفادة المنضبطة من وسائل الإعلام والتقنية المعاصرة.....	١٣٠
المبحث الخامس: تتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد.....	١٣٢
المبحث السادس: العناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات.....	١٣٦
الخاتمة.....	١٣٩
مراجع ومصادر البحث.....	١٤٣
الفهرس.....	١٥١



من هذه السلسلة



صدر من هذه السلسلة

- ١- تأملات في سورة الفاتحة د. حسن باجودة
 - ٢- الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه أ. أحمد محمد جمال
 - ٣- الرسول في كتابات المستشرقين أ. نذير حمدان
 - ٤- الإسلام الفاتح د. حسين مؤنس
 - ٥- وسائل مقاومة الغزو الفكري د. حسان محمد حسان
 - ٦- السيرة النبوية في القرآن د. عبد الصبور مرزوق
 - ٧- التخطيط للدعوة الإسلامية د. علي محمد جريشة
 - ٨- صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية د. أحمد السيد دراج
 - ٩- التوعية الشاملة في الحج أ. عبد الله بوقس
 - ١٠- الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره د. عباس حسني محمد
 - ١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم د. عبد الحميد محمد الهاشمي
 - ١٢- السنة في مواجهة الأباطيل أ. محمد طاهر حكيم
 - ١٣- مولود على الفطرة أ. حسين أحمد حسون
 - ١٤- دور المسجد في الإسلام أ. علي محمد مختار
 - ١٥- تاريخ القرآن الكريم د. محمد سالم محيسن
 - ١٦- البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام أ. محمد محمود فرغلي
 - ١٧- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته (١) د. محمد الصادق عفيفي
 - ١٨- المرأة وحقوقها في الإسلام أ. أحمد محمد جمال
 - ١٩- القراءات : أحكامها ومصدرها د. شعبان محمد اسماعيل
 - ٢٠- المعاملات في الإسلام د. عبدالستار سعيد
 - ٢١- الزكاة : فلسفتها وأحكامها د. علي محمد العماري
 - ٢٢- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم د. أبو اليزيد العجمي
 - ٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا أ. سيد عبد المجيد بكر
 - ٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر د. عدنان محمد وزان
 - ٢٥- الإسلام والحركات الهدامة معالي عبد الحميد حمودة
 - ٢٦- تربية النشء في ظل الإسلام د. محمود محمد عمارة
- ط ١ (١٤٠٤هـ)، ط ٢ (١٤٢١هـ).
- ٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي د. محمد شوقي الفنجرى
 - ٢٨- وحي الله - حقائق وخصائص في الكتاب والسنة د. حسن ضياء الدين عتر
 - ٢٩- حقوق الإنسان وواجباته في القرآن أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
 - ٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية أ. محمد عمر القصار
 - ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته (٢) أ. أحمد محمد جمال

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الإعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبدالواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبدالرحمن حسن حنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابلي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي (١)	د. رفعت العوضي
٤١-	أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبدالله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة الحق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسى
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابلي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٣)	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين ط (١٤٠٦هـ) ، ط (١٤٢١هـ)	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن (١)	أ. محمد قطب عبدالعال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين (٢)	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت (١)	أ. أحمد سامي عبد الله

٦٦-	أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة	أ. أحمد عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٤)	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن (٢)	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت (٢)	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدرّس القرآن لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادئ الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية ..	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	د. محمد الحسين أبوسم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جعمان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد الحمضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التهمير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابلي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. الأمين الحاج محمد أحمد

أ. عبد الرحمن خليف	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	١٠١-
السيد هاشم عقيل عزوز	أخطار حول الإسلام	١٠٢-
د. عبد الله محمد سعيد	صلاة الجماعة دراسة فقهية مقارنة	١٠٣-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن	١٠٤-
أ. أنسور الجندي	مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	١٠٥-
د. شوقي أحمد دنيا	الاقتصاد الإسلامي هو البديل الصالح	١٠٦-
د. عبد المجيد أحمد منصور	توجيه وإرشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	١٠٧-
أ. السيد أحمد المخزنجي	في ظلال سيرة الرسول ﷺ	١٠٨-
د. ياسين الخطيب	المخدرات مضارها على الدين والدنيا	١٠٩-
أ. محمود محمد كمال عبد المطلب	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١١٠-
د. حياة محمد علي خفاجي	زينة المرأة بين الإباحة والتحریم	١١١-
د. سراج محمد وزان	التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	١١٢-
أ. عبد رب الرسول سيف	النموذج العصري للجهاد الإسلامي	١١٣-
أ. أحمد محمد جمال	المسلمون حديث ذو شجون	١١٤-
أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز	المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	١١٥-
د. جابر المتولي قميحة	آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	١١٦-
أ. أحمد بن محمد المهدي	اللباس في الإسلام	١١٧-
أ. ناصر عبد الله العمار	الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	١١٨-
أ. محمد أبو الليث الخير آبادي	أسس النظام المالي والاقتصادي في القرآن	١١٩-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن (٢)	١٢٠-
د. محمد سويد	الإسلام هو الحل	١٢١-
أ. محمد قطب عبد العال	نظرات في قصص القرآن (٣)	١٢٢-
د. محمد بهي الدين سالم	من حصاد الفكر الإسلامي	١٢٣-
أ. ساري محمد الزهراني	خواطر إسلامية	١٢٤-
أ. اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي	الإسلام ومكافحة المخدرات	١٢٥-
أ. صالح أبو عراد الشهري	دروس تربوية نبوية	١٢٦-
د. عبد الحلیم عويس	الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	١٢٧-
د. مصطفى عبد الواحد	من سمات الأدب الإسلامي	١٢٨-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (١)	١٢٩-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (٢)	١٣٠-
أ. عبد الباسط عز الدين	المسجد البابري قضية لا تنسى	١٣١-
د. سراج محمد وزان	التدريس في مدرسة النبوة	١٣٢-
أ. ابراهيم اسماعيل	الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة	١٣٣-
د. حسن محمد باجودة	تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	١٣٤-
أ. أحمد أبو زيد	منهاج الداعية	١٣٥-

الشيخ. محمد بن ناصر العبودي	١٣٦- في جنوب الصين
د. شوقي أحمد دينا	١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة
د. محمود محمد بابلي	١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل
أ. أنور الجندي	١٣٩- سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ
أ. محمود الشرقاوي	١٤٠- الطفل في الإسلام
أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي	١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها
د. حياة محمد علي خفاجي	١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي
د. السيد محمد يونس	١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا
مجموعة من الأساتذة الكتاب	١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله)
أ. أحمد أبو زيد	١٤٥- المهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية
د. حامد أحمد الرفاعي	١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد
أ. محمد قطب عبدالعال	١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم
أ. زيد بن محمد الرماني	١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي
أ. جهمان بن عايض الزهراني	١٤٩- الماسونية والمرأة
أ. اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي	١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام
د. حسن محمد باجودة	١٥١- الأسرة المسلمة في ضوء القرآن
د. أحمد موسى الشيشاني	١٥٢- حرب القوقاز الأولى
أ. زيد بن محمد الرماني	١٥٣- المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية
د. السيد محمد يونس	١٥٤- المسلمون في جمهورية الشاشان
	وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٥- القدس في ضمير العالم الإسلامي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٦- الطريق إلى الوحدة الإسلامية
د. جعفر عبدالسلام	١٥٧- المركز القانوني الدولي لمدينة القدس
د. عبد الرحمن الخوراني	١٥٨- الحوار النافع بين أصحاب الشرائع
أ. علي راضي أبو زريق	١٥٩- الإنسان والبيئة
أ. محمود الشرقاوي	١٦٠- الإسلام وأثره في الثقافة العالمية
أ. عبد الله أحمد خشيم	١٦١- الموت .. ماذا أعدنا له ؟
د. محمود محمد بابلي	١٦٢- زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه
أ. أنور الجندي	١٦٣- عطاء الإسلام الحضاري
أ. عاطف أبو زيد سليمان علي	١٦٤- إحياء الأراضي الموات في الإسلام
أ. محمد بن سليمان الأهدل	١٦٥- أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة
أ. خالد الأصـور	١٦٦- البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام
أ. محمد بن ناصر العبودي	١٦٧- المسلمون في لاوس وكامبوديا
أ. ابراهيم الدرعاوي	١٦٨- المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين في المجتمع الهولندي

- ١٦٩- مفاهيم يجب أن تُصحح أ. بغداد سيدي محمد أمين
- ١٧٠- السنة النبوية المطهرة الشيخ محمد علي الصابوني
- ١٧١- نحو مشروع حضاري للإسلام د. أحمد القديدي
- ١٧٢- الإعلام الإسلامي رسالة وهدف أ. سمير بن جميل راضي
- ١٧٣- الشريعة والتشريع أ. فاطمة السيد علي سباك
- ١٧٤- ترجمات معاني القرآن الكريم د. عبدالله عباس الندوي
- ١٧٥- خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام أ. زيد بن محمد الرماني
- ١٧٦- الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني
- ١٧٧- المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني أ. عثمان بن جمعة ضميرية
- ١٧٨- التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية د. محمد إبراهيم منصور
- ١٧٩- شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي أ. حسني شيخ عثمان
- ١٨٠- في غرب الهند أ. محمد بن ناصر العبودي
- ١٨١- في بلاغة الدعاء النبوي د. عبد الرزاق محمد محمود فضل
- ١٨٢- الإعلام الغربي والمؤامرة على د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
- الإسلام في أفريقيا
- ١٨٣- منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام د. حلمي عبد المنعم صابر
- ١٨٤- معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين أ. د/ أحمد محمد الخراط
- ١٨٥- أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي حامد
- ١٨٦- التربية في عهد الرسول [نشأتها وتطورها] سالم عايض الحري
- ١٨٧- الزكاة وتنمية المجتمع السيد أحمد المخزنجي
- ١٨٨- بلاد التار والبلغار محمد بن ناصر العبودي
- ١٨٩- خطبة الجمعة د. نزار عبد الكريم سلطان الحمداني
- ١٩٠- عداوة الشيطان للإنسان كما جاء في القرآن د. عبد العزيز بن صالح العبيد
- ١٩١- السفارة والسفراء في الإسلام د. عثمان بن جمعة ضميرية
- ١٩٢- القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل أ. د. محمد علي حُلة
- ١٩٣- أعمال الحاج بعد النفر من منى د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ١٩٤- التصريح بإثبات الأناجيل الأربعة د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي
- الاعتقاد الصحيح في المسيح
- ١٩٥- تحليل مخاطر الاستثمار في المصارف محمد نور علي عبدالله
- الإسلامية بين النظرية والتطبيق
- ١٩٦- المسيح عيسى بن مريم مصدق د. عبدالله بن عبدالعزيز الشيعبي
- لما بين يديه في التوارة
- ١٩٧- من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب د. عبد المهيمن عبد السلام طحان
- والسنة «ضعف الإيذان»
- ١٩٨- معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام د. أحمد عبد الرحيم السايح

- ١٩٩- لمحات في سورة الأحزاب أ. د. حسن بن محمد باجودة
- ٢٠٠- جوانب التعارض بين عنصر الأئوثة في المرأة د. عدنان بن حسن باحارث
- ٢٠١- منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة د. منظور بن محمد رمضان
البعث بعد الموت «تفسير موضوعي».
- ٢٠٢- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته د. عبدالله بن الزبير بن عبدالرحمن
- ٢٠٣- الإسلام وعولمة الرأسمالية. د. عبدالخفيظ بن عبدالرحيم محجوب
- ٢٠٤- قصة أصحاب الجنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ٢٠٥- دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٦- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء (في ضوء الكتاب والسنة) د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٠٧- المحو والإثبات في المقادير د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٨- الطريق إلى نجاة الأولاد د. عبدالله إبراهيم اللجيدان
- ٢٠٩- الإسلام وتهمة الإرهاب د. حسن عزوزي
- ٢١٠- رؤى تربوية تطويرية لمنهج الدعوة الإسلامية د. حسن بن عايل أحمد يحيى
- ٢١١- البلد الحرام - فضائل وأحكام د. مسعود بن محمد القحطاني
د. ضياء الدين محمد مطاوع
إعداد كلية الدعوة وأصول الدين -
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- ٢١٢- الوجود الإسلامي في أمريكا- الواقع والأمل د. عثمان أبوزيد عثمان
- ٢١٣- مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً د. محمد بكر إسماعيل حبيب
- ٢١٤- الصحة والصحابة رضوان الله عليهم «رسالة أ. د. أحمد علي الإمام
تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم»
- ٢١٥- آثار العولمة على عقيدة الشباب د. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي
- ٢١٦- المزاح في الإسلام د. حسن عبدالغني أبوغدة
- ٢١٧- أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان د. عبدالله بن محمد القرني
- دراسة تحليلية نقدية -
- ٢١٨- دلائل الإسلام أ. د. أحمد بن سعد الحمدان
- ٢١٩- الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل د. عطية فتحي الويشي
- ٢٢٠- دلالة المثالات على التوحيد د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٢١- الفتنة، معناها، والحكمة منها، في ضوء الكتاب والسنة. د. إبراهيم بن عبدالله الدويش
- ٢٢٢- المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء أ. أحمد بن إسماعيل كتبسي
أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب (السيرة
النبوية) لابن هشام المتوفي عام ٢١٨هـ.
- ٢٢٣- مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة د. السيد رزق الحجر
القرآنية والاستدلال الكلامي.

- ٢٢٤- الحضارة الإسلامية وسطيتها أ. السيد أحمد المخزنجي وموقفها من الآخر.
- ٢٢٥- الشيخوخة وكيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها د. عبدالله بن ناصر السدحان
- ٢٢٦- العلاقات الثقافية الفكرية بين العالمين الإسلامي د. مفرح بن سليمان بن عبدالله القوسي والغربي في العصر الحاضر - الحواجز والجسور .
- ٢٢٧- التصير في أفريقيا د. عبدالرزاق عبدالمجيد الأرو
- ٢٢٨- أثر الإيثار في بناء الحضارة الإنسانية د. أحمد معاذ علوان حقي
- ٢٢٩- التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية د. حسن عزوزي
- ٢٣٠- فلسفة الحرية الدينية - نظرة عقدية د. لطف الله خوجة
- ٢٣١- البناء التربوي للمجتمع المسلم الفعال د. هاشم بن السيد علي الأهدل
- ٢٣٢- ميثاق الإيمان د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٣٣- مقدمة في مصطلحات الفقهاء عن د. محمد ظاهر أسدالله المكي
- الأحكام الشرعية وأئمة مذاهبهم
الأربعة، أصولهم الاجتهادية ومدوناتهم
الفقهية ومصطلحاتهم المذهبية
- ٢٣٤- قضايا المسلمين في القصص الإسلامي المعاصر أ. يحيى حاج يحيى
- ٢٣٥- «نصر الله امراء سمع مقالتي ...» د. عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي «دراسة عقدية»
- ٢٣٦- السعادة والحياة «رؤية تربوية لمفهوم السعادة أ. عبدالكريم بن عوض اللبيني وأسبابها في حياة المسلم المعاصر» السلمي
- ٢٣٧- الرفق في السنة د. حسن محمد عبده جي
- ٢٣٨- الدين المعاملة د. منقذ بن محمود السقار

هذا الكتاب

لا يخلو عصر من العصور إلا والسيرة في عرضها وبيانها منه نصيب إما بتدوين أو شرح أو تقريب، وفي زماننا تمس الحاجة إلى تمام الرعاية ، ووافر العناية بسيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، بتقريبها للأذهان، وعرض دروسها لينتفع بها في معالجة معضلات هذا الزمان .

وتجديد عرض السيرة له مقاصد شريفة، ومعالم منيفة، تؤكد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة، وتلاحظ الوحدة الجامعة بين أمة الإيمان على مر العصور وكر الدهور، وتبرهن على وحدة حضارة أهل الإيمان في أطرها العامة وسياجها الكلي، ومن أهم المقاصد تجديد العاطفة الإيمانية الصادقة، والتربية على مائدة السيرة بالقدوة الحسنة المباركة، والتمرس على إحياء فقه السنن الربانية في الإصلاح والدعوة، والتفاعل الإيجابي مع الواقع المعاصر ، والتبصر الواعي بالعواقب والمآلات .
وهذه مشاركة في تجديد عرضها، ومد رواقها، وتسهيل درسها ، وتقريب عبرها، وضبط مقاصد تدوينها ونشرها .